محمود الدموكي

رواية

العملية فيرجينيا

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

دار دوّن

محمود الدموكي

العملية فيرجينيا

روايــــة

دَوِّنْ
د
للنشر والتوزيع

إهـــــداء

إلى الأمل، لأنه المبرر الوحيد لبقائنا
على قيد الحياة، إلى محمد صلاح
لأنه من يبعث فينا ذلك الأمل

لا تحرموا الإنسان من الكذب، لا تحرموه من تخيلاته، لا تدمروا خرافاته، لا تخبروه الحقيقة لأنه لن يتمكن من العيش من خلال الحقيقية.

فريدريش نيتشه

(١)

٧ يوليو ٢٠٦٧

العاشرة صباحًا، فندق فيرجينيا، القاهرة

كان أكرم لا يزال كما هو في غرفته العلوية بفندق فيرجينيا، فقط تغير موقعه من أرضية الغرفة، والتي افترشها مترنحًا قبل الغوص في النوم، إلى سريرها الخشبي المُطرز المُريب، لا أحد يعرف كيف حدث ذلك بالضبط، لكن أكرم أيضًا كان ميتًا، أو هكذا ستظن عند رؤيته للوهلة الأولى، فتقريبًا لولا اقترابك من قلبه، وتدقيق السمع للشعور بدقاته المتسارعة، لما كان بمقدورك الجزم بأنه على قيد الحياة، مجرد جثة، بإمكان الهواء، إن كان شديدًا، تحريكها كيفما أراد ووقتما شاء.

لم يكن الفتى النائم يتحرك أو يتقلب خلال نومه، صحيحٌ أنه ثمة أنفاس باردة تجيء وتروح من فتحتي الأنف، لكن الجفنين والشفتين والأذنين بدت وكأنها مُغلقة منذ زمن، لم يكن ثمة شيء ينبض بالحياة في هذا الجسد بخلاف القلب، ولو كنت ستمنح أحدًا جائزة لأنه نام أكبر قدر ممكن من الوقت، فلابد أن شخصًا مثل أكرم، نام قرابة الخمسين عامًا، يستحق شيئًا أكبر من الجائزة، ووصف أعظم من المعجزة!

اختزال المعجزة في نوم أكرم لخمسة عقود يُعد ضربًا من الظلم لبقية الأحداث، فمثلًا الأتربة التي غمرت كل شبر من الغرفة لم تكن لتفعل كل هذا التأثير في عشية وضحاها، أصلًا متى جاءت عاصفة الرمال هذه؟ وبالطبع أنتم تتفهمون أن أكرم قد استبعد تمامًا تراكم تلك الرمال بصورة طبيعية لأن الأمر يحتاج إلى أعوام وأعوام لحدوثه، أحقًا يمكن أن يحدث كل ذلك العبث في ساعات نومه القصيرة؟

«مستحيل»، هذه بالتأكيد كانت لتكون إجابته لو كان بإمكانه التحدث عند الاستيقاظ من النوم.

مع دقات العاشرة بالضبط كان أكرم يبدأ في فتح بؤبؤ عينيه، وكأن

maktabbah.blogspot.com

الحياة قد بُعثت به من جديد، بدا شبه مُترنح على نفسه، وكان يجد صعوبة شديدة في سحب الهواء من الفراغ حوله، أما دقات قلبه فلم يكن قادرًا على تحديد سرعتها أو بطئها، كل ما يعرفه أنها تسير بصورة غير طبيعية، لكن الصاعقة الحقيقية لم تكن قد حدثت بعد، أو على الأقل لم تحدث قبل أن يدوي صوت المذياع الشديد في كل ركن من الغرفة على مسمعٍ من أكرم الذي وجد كل عضو من أعضائه ما زال في طور التعرف على بقية الجسم، قال الصوت المسجون في المذياع منذ خمسين عامًا على الأرجح:

«صباح الخير، إنكم نائمون في مكانكم هذا منذ خمسين عامًا إثر تجربة قام بها الدكتور «منير الجنايني»، لكن هذا الخبر ليس الأسوأ لكم هذا الصباح، فقد حدث خلال نومكم الطويل الكثير من الأشياء، على رأسها الوباء الذي ضرب الأرض وقضى على أكثر من سبعين بالمائة من سكانها، لقد فاتكم الكثير والكثير، ربما مات جميع من تعرفون خلال فترة النوم تلك، وأقول لكم، وربما سيدهشكم ذلك، أنكم الأمل الوحيد المُتبقي للبشرية، إن كنتم لا تزالون على قيد الحياة، أو حتى شخص واحد منكم فقط، فبإمكانه إنقاذ البشرية، أما إذا فشلت التجربة، وكنتم جميعًا موتى الآن، فإنه من المؤسف أن أعلن نهاية عصر جديد من البشرية، وبداية سيطرة الحيوانات مجددًا على الأرض، اسمي منير الجنايني، وسأكون أسعد ميت إن كان هناك من يسمعني الآن منكم».

*****

أخذ صوت المذياع يدوي على مسمع من أكرم الذي كان لا يزال يُلملم في نفسه، كان تأثير النوم الطويل واضحًا عليه، لكن تأثير الكلمات بدا أشد وضوحًا وغرابة بالنسبة له، حتى أنه لم يعد يُفكر في الأشياء المثيرة التي كان يراها حوله باستمرار، بدايةً من النوافذ المُغلقة بإحكام عدا أثقاب صغيرة تكفي فقط لتمرير الهواء، مرورًا بالأبواب التي دخلها أمس وبدت الآن وكأنها أقدم شيء قد رآه في حياته، انتهاءً بالحائط الذي بدأ يتشقق ويستعمره العنكبوت، لقد تغير كل شيء حرفيًا، حتى هاتفه الذي دخل به

maktabah.blogspot.com

الفندق ليلة الأمس قد اختفى، ولم يعد من المنطقي أبدًا استبعاد الكلمات التي سمعها للتو من رأسه، لذلك لم يجد أفضل من استرجاع الليلة الماضية، أو هكذا يظن، بكل تفاصيلها.

حسبما يذكر، لقد تسلم مساء أول أمس، بالنسبة لاعتقاده في الوقت، مظروفًا صغيرًا به طلب مقابلة من أجل وظيفة، وقد ذهب حسبما ينص المظروف في العنوان والوقت المُحددين به، كما يذكر أيضًا أنه لم يكن وحيدًا، بل كان معه أربعة أشخاص آخرين مُتقدمين لنفس الوظيفة، وقد حدث أن تأخر رب العمل ولم يحضر في الموعد المُحدد، لذلك طالبهم موظف الفندق بالذهاب إلى عدة غرف بالدور الثاني والمكوث بها للراحة حتى وصول صاحب العمل، إن كانت الذاكرة تُسعفه فاسمه هو «منير الجناييني»، هذا كل شيء يُمكن تذكره في هذه الليلة العجيبة، بالإضافة إلى الشعور المفاجئ بالترنح والسقوط أرضًا ومن ثَم الغياب عن الوعي، فما الذي حدث بعدها؟

أكرم لا يعرف ما الذي حدث، وبالتأكيد إن كان يُريد الإجابة عن هذا السؤال فعليه أن يجتمع بأبطال هذه الليلة، زملائه الأربعة في الغرف المجاورة له وموظف الفندق، لذلك حاول الوقوف على قدميه المُتصدعة حتى تمكن بالكاد من التحرك وترك موضعه أعلى الفراش وعبور الباب العجيب لغرفته بعد التغاضي عن التغير المُريك الذي حدث في شكله، لم يكن ليلة الأمس بهذه الحالة بكل تأكيد.

كانت الغرف الأربعة الموجودة بالدور الثاني على نفس حالة غرفة أكرم، بابها قديم مُتآكل والحيطان حولها تعج بالشقوق، حتى العنكبوت قد وجد في ذلك الحال فرصة سانحة من أجل بناء بيوته المُحببة، ومع أول باب غرفة يفتحه أكرم من الأبواب الأربعة كان ثمة مفاجأة غير سارة بالمرة مُتمددة على الفراش بانتظاره.

ببساطة، هذه أول مرة يشعر فيها أكرم بكل هذا القدر من الرعب، فتلك الغرفة، التي كان آخر ما شاهده بها دخول الفتى ذو السادسة عشر عامًا،

maktabban.blogspot.com

ما إن فُتحت حتى انبعث منها عبق مقبرة عتيقة، أما الفتى فلم يعد فتى، بل كان مجرد هيكل عظمي موجود على الفراش في وضعية تقول إنه قد مات وأصبح لقمة سائغة للدود قبل عدة عقود، وطبعًا ليس من الصعب التنبؤ بما فعله أكرم بعد أن تلقى تلك الصدمة المُخيفة، فقد هرول باتجاه بقية الغرف الأربعة في فزع، وكان في كل مرة يرى نفس المنظر بلا تغيير، هيكل عظمي على الفراش ورائحة كالقبر تعبق المكان.

ما بين الغرف الخمس كان ثمة نتوء بارز يقود إلى زاوية جديدة من الدور الثاني بالفندق، استكشاف ما هو داخل هذا النتوء لم يكن بالشيء المُحبذ في ذهن أكرم، كان ثمة الكثير من الأفكار تدور داخل رأسه، لكنه كان يستبعد تلك الفكرة التي يدفعه إليها الفضول، كان الخوف أكبر المُسيطرين على الأمر، وبالتأكيد ليس هناك شيء بخلاف الخوف يُمكن أن يكون موجودًا في درب ذلك النتوء، ولهذا حضره التفكير في شيء آخر أكثر ضمانة وأوفر حظًا في النجاة.

كان الدرج هو وجهة أكرم للفرار من هذا الجحيم الذي بدا وكأنه قد حيك له، ركض باتجاهه وقطع السلالم كاملة في قفزتين أو ثلاث على الأكثر، كان يهرب من الخوف ويشعر به، وكان يعتقد أنه سيعثر على موظف الفندق ليحصل منه على إجابات كافية لهذا التحول الذي ضرب حياته في ليلة واحدة قضاها في فندق فيرجينيا العجيب، لكن خمنوا ماذا؟ لقد كان هناك هيكل عظمي آخر ينتظر أكرم على كرسي موظف الفندق، وطبعًا لا يحتاج الأمر إلى تفسير أكثر، فقد كان الهيكل لصاحب الكرسي، وهنا وجد أكرم أن الأمر لم يعد جديرًا بالتحمل أكثر، فسقط على الأرض فاقدًا الوعي.

*****

maktabbah.blogspot.com

(٢)

٧ يوليو ٢٠١٧

قبل خمسين عامًا من الآن

العاشرة صباحًا، فندق فيرجينيا، مصر القديمة

في شارع صغير من شوارع مصر القديمة وقف أكرم ممسكًا بورقةٍ صغيرة، كانت على ما يبدو ورقة عنوانٍ ما يبحث عنه ويدقق بها بالتناوب مع النظر إلى الأرقام الموجودة على الأبنية حوله، في الحقيقة كان ثمة حل من المفترض أنه أبسط من ذلك، وهو أن يسأل أحد المارة عن فندق فيرجينيا، ذلك البناء المدون بالورقة والذي خرج لأجله من البيت في التاسعة من صباح اليوم، لكن الغريب حقًا أن الشارع كان خاويًا، على الرغم من أننا نتحدث عن ساعة من المفترض أنها ساعة الذروة، لكنه فعلًا كان خاويًا، لم يكن هناك سوى طفلين صغيرين يتشاجران على سببٍ طفولي مثلهم.

كان أكرم يُريد اللحاق بموعده الذي حُدد في العاشرة، لكن قلقه من تطور الأمر بين الطفلين الصغيرين دفعه إلى الذهاب إليهما والحول بينهما، ومع أنه قد تمكن فعلًا من إنهاء الشجار إلا أن إبهام أحد الطفلين قد تمكن من الانفلات والدخول في العين اليسرى للطفل الآخر، وفي تلك اللحظة، ومع نوبات صراخ الألم التي أطلقها الطفل المُصاب، بدأ الناس يتجمعون عند مناطق الشجار، وما هي إلا ثوانٍ قليلة حتى انتهت كل الضجة المُثارة، وهنا وجد أكرم الفرصة سانحة للسؤال عند فندق فيرجينيا، والذي لم يأخذ الشخص المسؤول عنه أكثر من لحظاتٍ بعد سماع السؤال حتى يُشير بإصبعه باتجاه مبنى صغير من دورين، يبدو من مظهره أنه حديث البناء، تتوسط جبهته يافطة مدون عليها اسمه، فيرجينيا.

على زجاج أبواب فندق فيرجينيا كان أكرم، الشاب ذو السابعة والعشرين ربيعًا، متوسط القامة، دائري الوجه، قمحاوي البشرة، ومنغولي العينين، يقف في توتر يُهندم بذلته الأنيقة، والتي بدا واضحًا جدًا أنه يلبسها للمرة

مكتبة
maktabah.blogspot.com

الأولى، استعدادًا للدخول، هذه ليست أول مرة يذهب فيها من أجل مقابلة عمل بالتأكيد، لكنها في الحقيقة المرة الأغرب على الإطلاق، يكفي أن الوظيفة قد جاءته حتى باب بيته، ولم يبحث هو عنها كما المعتاد، كل ما يعرفه أنه قد تلقى مساء أمس رسالة بريدية من رجل يُدعى «منير الجنايني» يُطالبه فيها بالحضور في العاشرة صباحًا من أجل فرصة عمل يزعم أنها تلائمه، ما هي وكيف عرف ذلك الرجل المجهول أنها تلائمه؟ لم يشغل أكرم باله بالإجابة عن هكذا أسئلة، خاصة في ظل الظروف التي أوضعته صعوبة المعيشة بها وجعلته مُستعدًا للقبول بأي وظيفة مهما كانت.

دخل أكرم الفندق مع دقات العاشرة بالضبط، كان تصدير الاهتمام بالوقت على قائمة الأشياء التي يُريد إيصالها إلى رب وظيفته الجديدة، لكنه تفاجئ أن الشخص الموجود في مكان الاستعلامات والحجز يُعطيه ورقة صغيرة تحمل الرقم خمسة ويُطالبه بالمكوث على المنضدة المواجهة لمكتب الاستعلامات، والتي يجلس عليها أربعة أشخاص آخرون، إذًا، وببساطة شديدة، لم يضمن أكرم الوظيفة المجهولة بعد، وإنما ينازعه فيها أربعة أشخاص، توقع أن يتم إجراء مقابلة يتم من خلالها تحديد الفائز بالوظيفة، وكم كان الأمر مُحبطًا بالنسبة لأكرم، خاصةً مع وضعه في الاعتبار سوء الطالع الذي يُلازمه طوال الوقت، فكم انتظر على المقاعد من أجل الوظائف وكم رُفض.

ألقى أكرم التحية على الأشخاص المجاورين له ثم جلس وهو يُبادلهم الابتسام المصطنع، بالتأكيد ليس هناك من يتمنى منهم خسران هذه الوظيفة وظفر مجاوره بها، سيتقاتلون إن تحتم الأمر، لكن أكرم بدأ يستبعد خيار القتال مع تفحص الأشخاص الموجودين حوله، كانوا أربعة أشخاص متفاوتين بشكلٍ غريب، الأول كان أربعيني الجسم والوجه، كان البلوغ وسن الأشد بالغين الوضوح عليه، كما أن نظراته وتحركاته على مقعده كانت توحي بشيء من الرصانة، هذا بخلاف الملابس الرسمية البحتة التي كان يرتديها والجريدة التي يمسكها بيده وتدل على اطلاعه،

maktabah.blogspot.com

بدا جاهزًا ومستعدًا لأي وظيفة تُسند إليه، وبلا أدنى تفكير فضل أكرم الرجل الرصين على نفسه وأدرك أنه سيسلبه الوظيفة لا محالة.

المنافس الثاني لأكرم كان على النقيض تمامًا، فهي فتاة لا يُمكن أن تتجاوز على أقصى تقدير الخامسة والعشرين، وبالنظر إلى ما هي عليه فيبدو أنها تحتك بسوق العمل للمرة الأولى، أي أنها بلا خبرات أو سابق أعمال، كما أنها بدت أنثوية تمامًا، تهتم بملابسها متوسطة الهيئة وتسريحة شعرها المُتكلف، ولا تكف عن مداعبة الخاتم الثمين الموجود بإصبعها والذي على ما يبدو كان الشيء الأكثر أهمية بالنسبة لها، كانت ظاهرية إلى حدٍ كبير، وهو أمر دفع أكرم للشعور بالتفاؤل، قبل أن يتزايد ذلك الشعور مع رؤية المنافس الثالث.

كان المنافس الثالث لأكرم عجوزًا يتجاوز السبعين، وكم بدا مُتماسكًا في جلسته بالكاد، لكنه لم يستطع السيطرة على أنفاسه الثقيلة التي كان يحملها حملًا للدخول والخروج، كذلك ملابسه الرثة ونظراته المتعجبة التي تدل على أنه لم يخرج لعمل منذ عدة عقود، أو ربما لم يخرج من بيته أصلًا منذ زمن!

أما المنافس الرابع فكان فتًى في السادسة عشر من عمره، يضع سماعات الأذن في أذنه ويستمع إلى مقاطع موسيقية بسذاجة مفرطة، بينما كان يُمسك رواية من روايات المراهقين في يده، ولولا أن هؤلاء الأربعة كانوا يحملون نفس الورقة التي أعطاها موظف الفندق لأكرم لما كان من الممكن أبدًا التصديق بأنهم مُرشحون لنفس الوظيفة.

بعد أن انتهى أكرم من تفحص الأشخاص بدأ بتفحص المكان، لم يكن فندقًا فاخرًا بالمرة، لو كان له أن يعطيه عددًا من النجمات لأعطاه نجمتين على الأكثر، فمقاعده البالية وأرضيته المبلطة المتسخة ليستا الشيء السيئ الوحيد فيه، مكانه المعزول أيضًا نقطة ضعفٍ كبيرة، وربما لهذا السبب، وبالرغم من الانتظار لأكثر من ساعتين، لم يدخل الفندق ولو حتى نزيل واحد، بل وراهن أكرم نفسه أن الكثيرين لا يعرفون بوجود هذا

الفندق من الأساس، ولولا أن العنوان قد أرسل له بالتفصيل، ولولا أنه قد استعان بأحد سكان المنطقة، لما استطاع هو كذلك الوصول إليه.

مع تأخر الوقت، ومرور ما يربو من الساعتين، بدأ المُرشحون للوظيفة يتفحصون ساعتهم في قلق، بدأ الهمس أمام أنظار موظف الفندق والشخص الوحيد في المكان، والذي اختفى لدقائق قليلة ثم عاد بخمسة أكواب من مشروب القهوة، وقدمه للمُترشحين ثم عاد أدراجه وبدأ يُبادلهم الابتسامة المُطمئنة من جديد، أما أكرم فلم يرغب في إبداء أي اعتراض على التأخر قد يُقلل من فرصة التحاقه بالوظيفة، فقط كان يُرجع رأسه للوراء ويُغمض عينه في تأمل للمشاهد التي تمر بالأذهان في مثل هذه اللحظات، أبرزها حصوله على الوظيفة والاستقرار أخيرًا بعد عناء.

*****

الخامسة مساءً

بعد حوالي سبع ساعات من الانتظار لم يكن من المعقول التحامل والصمود أكثر من ذلك، خاصةً من قِبل الرجل العجوز الذي بالتأكيد فوت موعدًا من مواعيد دوائه، هذا بالإضافة إلى أنه أصلًا لا يعرف، مثلما هو الحال مع الجميع هنا، ما هي الوظيفة ومن هو صاحبها ولماذا تم استدعائه بالذات!

أخيرًا سجلت الفتاة اليافعة الاعتراض الأول في هذا الانتظار مع بداية حلول المساء:

- لقد تأخر الوقت جدًا، أظن أنه لن يأتي، أقصد صاحب العمل الذي يُريد مقابلتنا.

تشجع الرجل الرصين ذا الأربعين عامًا وقال ساخرًا:

- أو أنه كان يقصد العاشرة مساءً ونسي كتابة ذلك في رسالته لنا.

- أنا لا يمكنني الانتظار أكثر من ذلك، لابد أن أهلي قلقون جدًا عليّ، كما

أن شبكة الهاتف هنا شبه مُعدمة!

قال الفتي ذو السادسة عشر عامًا، أما أكرم فعقّب بالصمت، كان مُصرًا على ألا يخسر أي سهم من أسهم قبوله بالوظيفة، يتخيل مثلًا أن السيد منير الجنايني هذا عندما يأتي سوف يسأل الموظف على الفور عن الشخص الأكثر تحملًا وصبرًا بين المُتقدمين الخمسة، ربما تكون المسابقة في الأساس مسابقة اختبار صبر من الدرجة الأولى، لكن الموظف قطع شك أكرم باليقين حين قال:

- لقد أوصاني السيد منير أنه إذ لم يأتي قبل الخامسة مساءً فيمكنكم أن تذهبوا إلى الدور الثاني وتأخذوا غرَفكم لترتاحوا، وعندما يأتي سوف يتم استدعائكم للردهة من جديد.

قبل أن تظهر الاعتراضات تابع الموظف:

- لا تقلقوا، كل غرفة مُجهزة لشخص واحد فقط، وسوف يأتيكم طعامكم على الفور، إنها الآن السادسة إلا خمس دقائق، في السادسة بالضبط سوف يكون الطعام على موائد غرفكم، صدقوني، الوظيفة تستحق كل هذا.

كان من الممكن جدًا اعتراض المتقدمين للوظيفة على الطريقة التي يُعاملهم بها صاحب العمل والمغادرة على الفور، لكن الخدمة الفندقية والغرف المخصصة لهم جعلتهم يُفكرون في أن كون التقديم للوظيفة قد مر بهذه المراحل المُكلفة فمن المحتمل أن يكون الراتب مبلغ هائل يُنسيهم كل هذا، ولذلك لم يتأخروا في الامتثال لتعليمات الموظف والصعود على الدرج للدخول إلى الغرف التي أخذ كل واحدٍ منهم مفتاحًا لها أثناء الصعود، وعلى سبيل الملاحظة، لم يرى أكرم اسم الموظف على بذلته مثلما هو المُعتاد في كل الفنادق، ولم ير كذلك تسجيلات النزلاء، وكأنه فندق في يومه الأول!

تأكد حدس أكرم عندم صعد الدرج ووجد كل الغرف موصده وجديدة وكأن أحدًا لم يدخلها من قبلها، فتح المُرشحين الخمسة غرفهم ثم دخلوها مُتأففين من تأخر صاحب العمل، العجوز في الغرفة الأولى والرجل

الرصين في الثانية والفتى الصغير في الثالثة والفتاة الساذجة في الرابعة، أما أكرم فقد حظي بالغرفة الخامسة حسبما كان قدره في استلام المفاتيح، دخل المتقدمين للوظيفة غرفهم مجبرين، لكنهم من الداخل كانوا سعداء بالمعاملة الفندقية التي ربما يحظون بها للمرة الأولى، حيث لم تسمح لهم حالتهم المادية من قبل بالجلوس في غرفة مُخصصة مجهزة لهم، وكذلك انتظار العشاء.

مع استعراض الغرفة بدأ أكرم يُقارن بين شكل غرفته ذات الجدران المتآكلة المُتشققة، وأثاثه البالي المُعتق، وتلك الغرفة التي لا يزال كل شيء جديد فيها، الفكرة الأهم كانت فكرة انتظار عشاء فاخر بعد دقائق، لكن، مع دقات السادسة، لم يشعر أكرم بنفسه إلا وهو يفقد الوعي ويترنح هاويًا على الأرض كالجثة الهامدة، وبالطبع لم يحتج الأمر ذكاءً لاستنتاج أن ذلك الأمر قد حدث في نفس اللحظة بالغرف الأربعة الأخرى، أما الشيء الأغرب على الإطلاق فقد كان سماع صوت أقدام على الدرج، لقد كانت للرجل الوحيد الذي جاء قبل العاشرة صباحًا ولم يغادر حتى الآن، منير الجنايني.

*****

(٣)

٧ يوليو ٢٠٦٧

الثانية عشرة ظهرًا، فندق فيرجينيا، مصر القديمة

كان الفتى المسكين أكرم يعتقد أنه عندما يفيق من هذه السقطة سوف يجد كل شيء قد عاد لطبيعته، بالتأكيد كان يتوقع أن ما يحدث له ليس طبيعيًا بالمرة، وأن خللًا ما قد وقع وليس هناك علاج له سوى بالغياب عن الوعي لبعض الوقت، لكن هذا التوقع لم يكن صحيحًا للأسف، فعندما استفاق من إغمائه وجد نفسه لا يزال في باحة الفندق أمام مكتب الاستقبال والاستعلامات، كما أن هيكل موظف الفندق كان لا يزال مُحدقًا

فيه، إذًا، هذا هو الجحيم، وأكرم لا يحلم.

بدا كل شيء في المكان باعثًا للخوف، فالساعة التي كانت مُعلقة فوق مكان الحجز والاستعلام أصبحت متوقفة لنفاد الحجارة على الأرجح، كما أن الأبواب الرئيسية للفندق باتت مُغلقة بشكل غريب فشلت معه كل محاولات أكرم لفتحها، وكأن هذا ما كان ينقصه، أن يُسجن في أكثر الأماكن رعبًا على الإطلاق!

كل هذا بدا مُرعبًا بحق، لكن الأكثر رعبًا أن أكرم كلما اقترب من النوافذ المُغلقة ليزعق ويصيح طالبًا المساعدة لم يكن ثمة أحد يُجيبه أو تحدث أي ردة فعل لما يقوم به من الأساس، كان ثمة أسئلة منطقية تدق في رأسه ناقوس الخطر بهذه اللحظة، أين ذهب الناس؟ وما الذي حدث لهم؟ وهل هذا حقًا حلم سينتهي قريبًا؟ أم خدعة من أحد أصدقائه الذين يختبئون الآن خلف ساترٍ يكتمون الضحكات وهم على استعداد تام لإنهاء الخدعة وإعلان فوزهم الساحق على أكرم!

لم يكن يحلم، كل خيط من الممكن أن يقود إلى تلك الفكرة المجنونة بدا مقطوعًا منذ بدايته، للحلم عدة شروط وشواهد، وكلها للأسف لا تتوافر في هذه اللحظة، وهذه كذلك ليست خدعة من الأصدقاء، فهذا ليس عيد ميلاده حسبما يذكر، كما أنه لا يُمكن لأحد تنفيذ خدعة مُتقنة إلى هذا الحد، لذلك عليه أن يهدأ ويعترف أنه في الحقيقة، ثم يُفكر في حل لما هو واقعٌ به، وهذا ما بدأ أكرم في فعله بالضبط.

كفكرة مجنونة، ومُجازفة مطلوبة، عاد أكرم أدرجه من جديد باتجاه الغرفة التي استيقظ فيها بهذا الصباح العجيب، لم يعد له أي ملاذ يمكنه اللجوء إليه، فعلى الأقل هي المكان الوحيد في الفندق الذي لم يتشبع برائحة الموت والجثث بعد، وطبعًا كانت خطوات الفتى المسكين على الدرج أشبه بنقش على البيض، كان يشعر في كل لحظة أن شيئًا ما سينبعث من أي مكان فجأة ويبث الخوف فيه من جديد، كان على يقينٍ أن فندق الرعب هذا لا يزال يحمل له الكثير والكثير، والأغرب أن الخوف

الذي امتلأ به أكرم قد أنساه تمامًا أمر التسجيلات والنوم لمدة خمسين عامًا.

دخل الغرفة وجلس على السرير يُحدق في النافذة المُغلقة بخوف، كانت فكرة إلقاء نفسه من النافذة، وإنهاء كل شيء حدث له هذا الصباح، فكرة مسيطرة جدًا عليه، يتمنى لو كانت النافذة فقط مفتوحة للحد الذي يسمح بمروره، بالتأكيد الموت هربًا من الخوف أفضل ألف مرة من الجلوس وانتظار الموت من الخوف، ثم إن الخوف الذي كان مسيطرًا عليه في هذه الأثناء لم يكن خوفًا طبيعيًا بالمرة، تخيل أن تنام بانتظار وظيفة عمل في فندق فاخر ثم تستيقظ لتجد أن ذلك الفندق قد تحول إلى مقبرة جماعية، وأنك الحي الوحيد بها، وإن كان أحدكم يعتقد أن كون أكرم الحي الوحيد ميزة رائعة فأنتم مخطئون بالطبع، لأن الحي الوحيد أصبح مسجونًا مع الجثث الخمسة.

هيمنة فكرة الموت عن طريق الانتحار، لم يكن بمقدور أحد، ولا حتى أكرم نفسه، السيطرة عليها، هو لا يعرف الخوف ولم يعتد عليه، لذلك لا يمكنه توقع إلى أي حد يُمكن أن يأخذه خوفه، ولهذا فضل إنهاء المغامرة بنفسه والبحث عن أي قطعة معدن أو زجاج يُمكن أن تساعد في إنهاء حياته بأسرع وقت، لكن صوت المذياع الذي عاد من جديد أجلَ الفكرة مؤقتًا بما ألقاه، قال الصوت المنبعث من مذياع الفندق:

«مساء الخير، لقد مرت ثلاث ساعات على قيامكم من نومكم الطويل، آمل أنني أحدث أحدًا ما، وأن شخصًا واحدًا على الأقل قد أفلت بالتجربة وبقي على قيد الحياة حتى الآن، وإن كان هذا صحيحًا فلابد وأن الأسئلة تعصف بمن نجى منكم، ما الذي حدث ولماذا وكيف؟ حسنًا، سوف تجدون جميع الإجابات مع الوقت، لكن حاولوا أن تُحافظوا على أنفسكم لأنكم لا تزالون الملاذ الأخير للبشرية، أنتم أقوياء، لقد صمدتم خمسين عامًا ومررتم بأغرب تجربة نوم في البشرية، رجاءً لا تُفرّطوا في كل هذا لوهلة يأس أو خوف تمرون بها، تذكروا أنه لا شيء يبعث على الخوف سواكم».

دوت هذه الرسالة المُسجلة خمس مرات من المذياع بعدد الأشخاص الذين خضعوا للتجربة، كان أكرم يسمعها في كل مرة وكأنها المرة الأولى، بات جليًا أن تلك الرسائل هي طريقة الاتصال الوحيدة له بالعالم، وأنه إذا أراد النجاة والإفلات من هذا الجحيم فسوف يكون ذلك عن طريقها، كان يستبعد تمامًا الجزء الخاص بإنقاذ العالم والبشرية والتجربة، ما كان يشغله هو إنقاذ نفسه، والحقيقة أنه بسبب هذا التركيز الشديد تمكن من تفسير الجملة الأخيرة في تلك الرسالة الغريبة.

«لا شيء يبعث على الخوف سواكم»

هذا صحيح تمامًا، لأن كل ما أرعب أكرم، أو أعظم ما يُرعب في هذا الفندق، تلك الهياكل العظمية التي تعج بها جنبات الفندق، والتي ترجع في الأساس إلى زملاء أكرم المُتقدمين للوظيفة وموظف الفندق، أي أنه، وببساطة شديدة، لو لم يمت هؤلاء الأشخاص لما امتلأ المكان برائحة الموت والجثث، تمامًا كما قال المذياع، لا شيء يبعث على الخوف سوى الناس الذين تواجدوا في هذا الفندق وكان من المفترض أن يظلوا على قيد الحياة حتى الآن مثلما هو الحال مع أكرم.

تراجع أكرم عن فكرة الانتحار، عاد إلى الفراش ومكث فيه بضع دقائق، كان يُريد التفكير فيما يحدث، لكن رأسه لم تكن تساعده أبدًا على فعل ذلك، كان الأمر جنونيًا بحق، وكانت فكرة كفكرة نومه لأكثر من خمسين عامًا قادرة على قلب كل شيء برأسه، حتى الجوع، والذي كان من الطبيعي أن يشعر به في مثل هذا الوقت، لم يجد له مساحة من تفكير أكرم، لكن أحدًا ما بدا وكأنه قد تطوع بالاهتمام بجوع أكرم بدلًا منه، دوى الصوت الذي أصبح مألوفًا مُجددًا:

«مساء الخير، إن كان أحدٌ منكم لا يزال على قيد الحياة فلابد أن أمرًا حيويًا مثل الجوع قد تمكن منه، يؤسفني إبلاغكم أنه لا طعام مطلقًا بالفندق، ولا طعام على الأرض، لقد دمر المرض كل شيء، ولم يعد ثمة ملاذ من ذلك سوى باللجوء إلى المحاليل التي ستُساعدكم على البقاء من

أجل إنجاز مهمتكم، ستجدون تلك المحاليل في الطابق الأرضي بالقرب من موظف الاستقبال»

لم يكن أكرم يفكر في الجوع، لكنه فضل الامتثال لتعليمات صاحب صوت المذياع، ما زال يرى فيه الأمل الأخير للخروج من هذا الجحيم، لذلك هرول بخوف تجاه الهيكل العظمي لموظف الاستقبال، أخذ يبحث عن المحاليل فلم يجد أي شيء، حتى لفت انتباهه وجود بعض الخِزن المُغلقة خلف رأس الموظف، وكأمر بديهي لاحظ أن الأرقام الموجودة على الخزن هي نفس أرقام الغرف.

تحسس سرواله على الفور فوجد المفتاح الذي أعطاه له الموظف لا يزال كما هو، وما إن وضعه في الخزانة رقم خمسة، والتي تحمل رقم المفتاح، حتى فُتحت الخزانة على مصرعيها، لم يُفكر إذا ما كنت تلك الخزينة موجودة وقت تقدمه للوظيفة أم لا، ما كان يعنيه أن المحاليل كانت موجود بالفعل، لكن ما أن أمسك بها وبدأ في تناولها حتى دوى صوت المذياع مرة أخرى حاملًا رسالته الجديدة:

«مساء الخير، أنا الآن في غاية السعادة، لقد فُتحت خزينة المحاليل، هذا يعني أنه لا يزال ثمة شخص منكم على قيد الحياة، ثمة أمل في إنقاذ البشرية والقضاء على المرض، الآن تغير كل شيء وحان الوقت للإجابة على أسئلتكم، توجهوا إلى الدور الثاني واسلكوا يمين نهايته، حيث النتوء وباب الملاذ الأخير لكم وللبشرية»

*****

(٤)

كالغريق الذي تعلق بقشة، ركض أكرم باتجاه المكان حيث أخبره صوت المذياع، لم يكن بحاجة إلى تفكير كبير ليُدرك أن تلك الأصوات قد تم تسجيلها قبل وقتٍ طويل وأنها تعمل كردة فعل لما يقوم به من تحركات، ففي اللحظة التي استيقظ فيها من النوم كان الصوت حاضرًا للمرة الأولى، ثم المرة التي حاول فيها الانتحار والمرة التي شعر فيها بالجوع والمرة

التي فتح بها خزينة المحاليل، والحقيقة أن أكرم بدا وكأنه قد تعلق بهذا الصوت واعتبره المرشد والرفيق الوحيد خلال هذه الجولة التي يأخذها في الجحيم منذ صباح ذلك اليوم.

عبر الدور الثاني والغرف الخمسة ذوات الجثث الأربعة ثم سلك النتوء الذي لم يكن وجوده الهندسي طبيعيًا بالمرة، بدا وكأن أحدًا ما قد أقحمه داخل حائط الفندق بالإكراه، لكن أكرم لم يُعر تأفف الحائط بذلك النتوء أي اهتمام وسلكه كمن يسلك السرداب حتى انته به الحال أمام بابٍ صغير حديدي، وكعادة كل شيء موجود داخل جنبات فندق فيرجينيا، استعصى على أكرم فتح الباب، وأخذ يحاول حتى رأى مكان المفتاح الذي كان مخفيًا إلى حدٍ كبير، وكأمر بديهي وضع مفتاح الغرفة الخامسة، الذي بدا له مفتاحًا سحريًا يفتح خزائن كل شيء، داخل الباب، لكنه لم يُفتح كما كان يتوقع، بل حدث أمر آخر بات أكرم ينتظره بشغف، دوى صوت المذياع من جديد:

«مرحبًا، شكرًا على المحاولة، إن الملاذ الأخير يتشرف جدًا بدخولكم ويتوق لفعل هذا سريعًا، لكنه يطلب تأكيدًا على أنكم لن تخذلوه، وأن من سيعبر هذا الباب سوف يقدر فعلًا على إنقاذ نفسه والبشرية، لعلكم لم تلاحظوا ذلك، ولكن مفتاح ذلك الباب مع شخص منكم بالفعل، لقد رأيتموه جميعًا صباح يومكم الأخير قبل النوم، إن كنتم لا تزالون على قيد الحياة جميعًا فإن الأمر سهل، أما إذا هلك أحدكم فأن البقية مُطالبين بالبحث عن المفتاح، فليحالفكم التوفيق».

تحددت مهمة أكرم التالية مع سماع التنبيه، بات مُطالبًا بالبحث عن مفتاح الملاذ الأخير، ما زال يشغله إنقاذ نفسه فقط، ومهما كان ثمن عبور باب الملاذ الأخير فإن أكرم مُستعد لدفعه للنجاة من هذا الجحيم الذي استيقظ واجدًا نفسه فيه، كما أن أسهم الثقة في صاحب الصوت المسجون في المذياع كانت تتزايد شيئًا فشيئًا، فحتى ولو كان مجرد صوت، في النهاية لا تزال كامل الثقة موضوعة فيه، لذا، وبلا أدنى تفكير،

ركض أكرم باتجاه الغرف الأربعة عابرًا النتوء مرةً أخرى.

*****

وقف أمام الغرفة الأولى، صحيح أنه قد مضى قرابة الخمسين عام حسبما يدعى الصوت الخارج من المذياع، لكنه ما زال يتذكر بعد غرفة كل شخص، لوهلة وجد أكرم نفسه مُبتسمًا إثر ومضة تفكير، فكرة ثرية جدًا ومُبهجة أن تتذكر ما حدث لك قبل خمسين عامًا بحذافيره، لو كان كل شيء يمضي بصورة طبيعي لكان قد مُنح جائزة صاحب الذاكرة الأقوى على الإطلاق، لكن الخوف الذي بات يُحاصر أكرم في هذه اللحظات دفعه لطرد تلك الفكرة ذات عظمة الانتشاء والعودة للتفكير فيما يعيشه من جحيم داخل فندق فيرجينيا المُخيف.

دخل الغرفة الأولى التي كانت من نصيب الرجل العجوز، كانت تُشبه كثيرًا غرفته من الداخل، تقريبًا كل الغرف تتشابه في التصميم والبناء، وهذه عادة بناء الفنادق وأماكن التجمع، وإلا، لكان النزلاء قد تشاجروا أيهم يأخذ الغرفة التي يراها الأفضل من وجهة نظره، لذا التشابه شيء جميل يمنع الخلافات من الحدوث، لكن بالنسبة لحالة أكرم كان ذلك التشابه شيء مُربك، فقط تخيلوا أنكم مُطالبون بالبحث عن شيء مُميز في أربع غرف مُتشابهة!

بعد بحثٍ في كل شبر في الغرفة لم يجد أكرم سوى ما وجد في غرفته، والذي كان موجودًا بالأصل في الفندق، إذًا، هذا لا يتماشى مع صاحب صوت المذياع الذي قال إن مفتاح الملاذ الأخير كان مع أحد المُتقدمين للوظيفة وراءه الجميع صباح اليوم الأخير قبل النومة الكبرى، وبالرغم من أن أكرم لم يكن يذكر رؤية أي مفاتيح ذلك الصباح، والذي من وجهة نظره كان بالأمس، إلا أنه جاب الغرف الأربعة وأخذ يبحث فيها عن أي مفتاح، فلم يجد سوى ما وجده في غرفته من أغراض باستثناء شيء واحد لم يجده في غرفته ووجده في الغرف الأربعة، إنه الهيكل العظمي المُمدد على الفراش.

بالتأكيد استبعد أكرم كون ذلك الهيكل هو المفتاح الذي سيبيح له أبواب الملاذ الأخير، ولهذا أخذ يبحث عن المفتاح في كل شبر لا يُمكن الوصول إليه، ومع الوقت بدأت وتيرة الغضب الممتزجة مع الخوف تتصاعد داخل الشاب المسكين، حتى دفعه ذلك الغضب إلى ضرب أحد الزهريات الموجودة باليد وتحطيمها اعتراضًا على كل الجحيم الذي حظي به منذ صبيحة يومه الأكثر سوءً في حياته، لكنه لم يكن يعرف أن ردة الفعل تلك سوف تستدعي صديقه الوحيد في الجحيم مرة أخرى، دوى الصوت المسجون في المذياع مباشرةً وكأنه كان في انتظار تلك اللحظة على أحر من الجمر:

«مرحبًا مجددًا، لقد سُمع صوت ارتطام شيء بشدة وتحطمه عن قصد، هذا يعني أنكم قد وصلتم كما توقعت إلى درجة عالية من الغضب، وبالطبع هذا الغضب سببه عدم العثور على مفتاح الملاذ الأخير، والحقيقة أن طريقكم لهذا الإخفاق هو عدم البحث الجيد، فمن قال لكم إن المفتاح المقصود مفتاح بالصورة التي تتخيلونها وتعرفونها، أنتم مخطئون بشأن المفاتيح، إنه شيء مهم لأحدكم، ربما يكون كلمة ما أو أي غرض شخصي آخر عبرتم به أبواب الفندق ذلك الصباح الذي يسبق النوم، تذكروا جيدًا وواصلوا البحث مجددًا، لا تخذلوني رجاءً وادخلوا الملاذ الأخير بأسرع وقت ممكن، أنا أنتظركم، والبشرية بأكملها تنتظركم منذ زمن، تمنياتي بالتوفيق»

كانت كلمات الرجل في المذياع هذه المرة حنونة أكثر من أي مرة مضت، بدا وكأنه يستعطف أكرم بطريقةٍ أو بأخرى، لكن ما كشفه من غموض لم يكن كفيلًا بكشف الستار عن مكان المفتاح، كل ما فهمه أكرم أنه يجب ألا يبحث عن مفتاح بالمعنى الحرفي، وإنما شيء كافي للدرجة التي تجعله يفتح بابًا مثل الملاذ الأخير، وهنا بدأت الحيرة تُداهم الشاب المسكين من جديد، فما هو الشيء الثمين لهذه الدرجة ومن المفترض أن يكون مملوكًا لأحد المُتقدمين الخمسة للوظيفة!

بدأ يتذكر كل شيء حدث قبل نومه، كانت تفاصيل صغيرة وبسيطة، إن

كان سيعتبرها فيلمًا فهي مجرد فيلم قصير جدًا يحتوي على مشهدين، المشهد الأول مشهد الانتظار على الأريكة أمام مكتب الاستعلامات والحجز، أما المشهد الثاني، فهو المشهد الذي كان حاضرًا فيه تسلم الغرف ودخولها ومن ثم الخلود الإجباري للنوم، هذا يعني أن التفكير كله يجب أن يكون في المشهد الأول، والذي كان به الرجل الرصين المُمسك بالجريدة والعجوز الذي كلن بالكاد يلتقط أنفاسه والفتى الصغير الذي كان يستمع للموسيقى، وأخيرًا الفتاة الساذجة التي كانت تهتم بهندمة ملابسها وخاتمها الذي...

ما إن تذكر أكرم أمر الخاتم حتى ركض باتجاه غرفة الفتاة على الفور، كم هو ذكي، إن الخاتم فعلًا هو الشيء الوحيد الذي بدا مهمًا لصاحبه، ما زال يذكر تشبثها به ومداعبته وزحزحته من مكانه من لحظةٍ إلى الأخرى، وكأنها قد أنفقت كل مالها لشرائه من أجل التباهي به في موقف كهذا، المسكينة لم تكن تعلم أن هذا الخاتم، إن صح توقع أكرم، سوف يُصبح فيما بعد مفتاحًا للملاذ الأخير والأمل الوحيد لإنقاذ البشرية حسبما يدعي الصوت المسجون في المذياع.

جذب أكرم الخاتم من إصبع الهيكل العظمي للفتاة دون مراعاة لموتها وتحلل جسدها، توجه ناحية النتوء من جديد ثم عبره حتى وصل إلى الباب، وقف يلتقط أنفاسه التي انفرطت منه خلال الركض من غرفةٍ إلى أخرى ثم أشار بيده رافعًا الخاتم في وجه باب الملاذ الأخير ليدوي صوت المذياع مرة أخيرة قبل الولوج إلى داخل الملاذ الأخير، لقد قال الصوت:

«انتهى الترحيب وحان وقت العمل، أنتم أذكياء حقًا، لقد نجحتم أخيرًا في العبور إلى الملاذ الأخير، اعلموا أن من تبقى من البشر يدعون لكم بإتمام مهمتكم الكبرى، كونوا على قدر المسئولية، رجاءً لا تخذلوهم، لقد منحتموهم الأمل، وإن أسوأ شيء يُمكن أن تفعله لشخص أن تمنحه الأمل ثم تسلبه منه، فليحالفكم التوفيق».

*****

(٥)

أخيرًا وضع أكرم قدمه داخل الملاذ الأخير، كان يختلف تمامًا عن كل شبرٍ صادفه في هذا الفندق العجيب، على الأقل لا وجود لبيوت العنكبوت ولا تشققات الحائط، كل شيء يبدو جديدًا لا قِدم فيه، وإن كان عليه أن يُصدق بأنه لا يزال على قيد الحياة وأنه في العام السابع والستين بعد الألفين فإن هذا الملاذ هو المكان الوحيد الذي يدل على ذلك الأمر، لكن من ناحية الغرابة فكل شيء حوله كما هو يكتنفه الغموض الشديد.

أهذا هو الملاذ الأخير؟

كرر أكرم السؤال على نفسه طوال تفحصه لغرفة المعيشة التي وجد نفسه فيها، أجل، كانت مجرد غرفة معيشة عادية تسع شخص واحد فقط، فبالإضافة إلى السرير كان ثمة مكتب صغير مُكدس بالأوراق والكتب، وأيضًا كان ذلك الحاسوب الذي يبدو من هيئته أنه لم يعمل منذ مدة، لكن ما لفت نظر أكرم أنه كان أحدث مما رأى قبل نومه بكثير، بداية من الشكل والمتعلقات والحجم، كان كل شيء به غريبًا لم تعتد عليه عين أكرم الذي ظن أنه خبير في مثل هذه الأشياء، وهنا بدأت فكرة مرور زمن طويل تُقلب في رأسه تلقائيًا، وكان يعلم أنها إذا استمرت بالتقلب سيصدقها بلا شك.

بجوار المكتب، على اليسار تمامًا، كان ثمة طاولة عقاقير حسبما يُمكن وصفها منذ الوهلة الأولى، فلا شيء على الطاولة سوى عبوات وزجاجات العقاقير التي لم يكن أكرم يعرف حتى ألوان بعضها، كانت كثيرة جدًا، لكن الشيء المُثير للاهتمام بها أن كل زجاجة كانت تحمل رقم من الأرقام، لم يكن الترتيب تسلسليًا حسبما يبدو من الترتيب، ولهذا تشكك أكرم في أن تلك الأرقام تحمل دلالة خاصة، وأنها بداية لشيء ما سيحدث.

أمعن أكرم النظر بكل شيء في غرفة الملاذ الأخير بحرص وتركيز شديدين لدرجة أنه لم يستمع إلى صوت ارتطام الباب الذي دخله منه وهو ينسحب بهدوء ثم يُغلق بصورة تلقائية، أثناء استدارته بعد تفحص طاولة

العقاقير لاحظ إغلاق الباب وأدرك أنه لن يُفتح مجددًا، على الأقل لن يحدث ذلك سوى بعد المرور بالكثير من الألغاز مثلما حدث عند محاولة فتحه، لكن أكرم من داخله لم يكن مُتحمسًا أبدًا للولوج إلى فندق فيرجينيا الغريب مجددًا، كان يقنع نفسه أن غرفة الملاذ الأخير ليست تابعة للفندق، وأن كل ما ينتظره في ذلك المكان الذي جاء منه هو الخوف ورائحة الموت، على الأقل في هذه الغرفة تغير الهواء وأصبح أكثر نقاءً من سابقه، لكن نفس السؤال كان لا يزال يدور برأسه، أهذا الملاذ الأخير؟

أثناء تفحص الغرفة لاحظ أكرم شيء ما في الزاوية، كان واضحا جدًا أن شخص ما سعى لإخفائه عن الأعين، أو أنه قد جعله هكذا كي لا يكون الشيء الأول الذي تقع عليه الأعين فور دخول الغرفة، كان ذلك الشيء مرآة زجاجية كبيرة أعلاها ساعة حائط كبيرة أيضًا لكن بشكل مبالغ فيه، والحقيقة أن المرآة التي رآها أكرم لم تكن مرآة عادية بالمرة، بل يمكن القول أنها أغرب مرآة راءها في حياته، لأنه، وببساطة شديدة، فور أن وقف أمامها حتى وجد نفسه أمام شخص آخر ينبثق منها بوجهٍ عريض مُغطى بشعرٍ كثيف، وكان ذلك الشخص الغريب يرتدي بالطو أبيض ويأخذ وضعية التحدث مع الفتى المُندهش، كان جاهزًا لأبعد حد، فما إن وقف أكرم أمامه حتى انبعثت من المرآة صورته وصوته، لقد قال بسعادة بالغة بادية على وجهه:

«مرحبًا أكرم، لقد حانت اللحظة التي تنتظرها، أنا الآن جاهز للإجابة عن كل الأسئلة التي تدور في ذهنك»

*****

كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها أكرم اسمه داخل هذا الفندق، بدا وكأن أحدًا ما قد كشف سرًا من أسراره، والحقيقة أن دهشته من هذا الأمر لم تقترب حتى من دهشته التي حظي بها فور رؤيته للرجل الذي انبثق فجأة من المرآة، والذي كان أشبه بتسجيل فيديو على كاميرا كبيرة بحجم المرآة، لكن، هل يمكن لتسجيل فيديو أن يعرف أن أكرم

سوف يصل في هذه اللحظة ويقف أمام المرآة؟ هذا ما كان يُحيره إلى حد الجنون.

تماسك أكرم أمام المرآة ومفاجأتها المدهشة، في ظروفٍ غير هذه كان من الممكن أن يسقط مغشيًا عليه أو يركض من هول الصدمة والانبهار، لكن كل شيء فيه كان يحثه على التمسك، ما زال صوت العقل يردد بداخله أنه الآن في الملاذ الأخير، وأنه لا سبيل للاستيقاظ من هذا الكابوس سوى التشبث بكل شيء داخل هذه الجدران.

لوهلة سيطرت فكرة الحلم على أكرم وبدأ يحدث نفسه ويسألها عن شعوره إذا ما كان يحلم، وأن كل الذي يراه أو رآه منذ الصباح ليس سوى حلمٍ طويل سيفارقه مع الصباح التالي، مع سماع صوت الزعيق تحت نافذته من المرآة السمينة لطفلها، مع سماع صوت الطفل الذي ينادي على زميله كي يأخذه للمدرسة، مع سماع صوت الشجار على المقهى المجاور له، سيستيقظ، لو كان حلمًا فمآله هو الاستيقاظ لا محالة، إنه ليس في قصة من قصص الخيال الجامح كي يموت في حلمه ويُسجن في رأسه للأبد.

«سأستيقظ»، بترديدها في نفسه كان أكرم يشعر بالتحسن بعض الشيء، لكن، حتى وإن كان حلمًا، فإن قدره أن يعيش هذا الحلم بكل تفاصيله، لهذا وجد نفسه يُعطي انتباهه للمرآة والرجل الذي يسكنها ويرتدي بالطو أبيض طويل، هكذا كان يُمكنك التنبؤ فور النظر له على الرغم من كونه جالسًا ولا يُرى منه سوى نصفه الأول، والذي كان يحتوي على وجهه العريض القمحاوي القريب إلى السمرة، معالمه كانت أنف كبير وفم مُنتفخ، أما العينان البنيتان فقد كانتا مُغطاتين بنظارة من النوع الذي لا يلبسه إلا العلماء والأطباء والأشخاص المُهمين عمومًا، بادل أكرم المرآة الترحيب مُرغمًا:

- مرحبًا

صمتت المرآة وتوقف الفيديو المُسجل بها حتى سمع صوت أكرم ثم عاد

للتحدث وكأنه قد بُثت به الحياة من جديد:

«سعيد جدًا بنجاتك يا أكرم، اسمي الدكتور منير الجنايني، أستاذ دكتور بكلية الطب، وهذه هي الوظيفة التي استدعيتك لها قبل خمسين عامًا، وصدق أو لا تصدق، لقد حدث الاختبار الوظيفي بالفعل وكنت أنت المؤهل الوحيد بين المترشحين الخمسة، فهل أنت مستعد لبدء وظيفتك؟»

لفظ منير الجنايني كلماته المُسجلة ثم عاد للسكون من جديد دون أي حركة من أي نوع، وكأن الحياة قد نزعت منه مرة ثانية، الشيء الوحيد الذي كان مُفعمًا بالحياة في هذا المكان كان أكرم، والذي أخذ عقله يتأرجح بين الصدمة والذهول، كانت هذه هي أصعب تجربة تفتيش عن الكلمات مر بها في حياته، لا يعرف ما الذي يقوله ومن الذي يتحدث له وما الذي يتحدث عنه، وبعد انتظار ستين ثانية بالتمام والكمال بُعث الصوت من المرآة مجددًا وقال:

«الرسائل التي سمعتها طوال الفترة الماضية مُجهزة طبقًا لتحركاتك وردة فعلك للأمور، كل ما تراه أو تسمعه تم تسجيله قبل خمسين عامًا، والآن، كي نوفر الوقت والجهد، اذهب إلى مكتب الأوراق وابحث عن ملفك بين الملفات الخمسة، ثم عد مرة أخرى للمرآة ووجه أربعًا من الأسئلة الموجودة في الصفحة الأخيرة، اتلوها كما هي أمام المرآة، لأن هذا التسجيل كما ذكرت لا يعمل إلا بتحركات وكلمات معينة، إنها أشبه بشيفرة تحثه على الانبعاث، تذكر أنه مسموح لك بأربعة أسئلة فقط، بعدها سيحترق جهاز التسجيل نهائيًا»

مرة ثالثة عاد الصوت والصورة لسكونهما بالمرآة، أما أكرم فبلا أدنى تفكير توجه إلى المكتب ثم بحث عن الملف الخاص به بين الملفات الخمسة، كانت الملفات تتعلق بلا شك بالخماسي المُتقدم للوظيفة، والتي لا يزال جاهلًا بماهيتها حتى الآن، لكنه سحب الملف المعنون باسم «أكرم»، ثم توجه به نحو المرآة، فتح الصفحة الأخيرة كما أمره الرجل في

التسجيل، حيث الكثير من الأسئلة التي يدور أغلبها في رأسه الآن، اختار السؤال الأول ونطقه كما هو مكتوب بالضبط:

- أين أنا؟

انتهى أكرم من نطق السؤال وجاء دور التسجيل في العودة للحياة مجددًا والتحدث، قال الرجل في تسجيل الفيديو مستخدمًا بعض تعبيرات الوجه وحركات اليدين:

«أنت في فندق فيرجينيا ظاهريًا ومُختبر الدكتور منير الجنايني في واقع الأمر، إنه المكان الوحيد الآمن على الكوكب الآن، أو يُمكن القول المكان الوحيد الذي جُهز ليكون آمنا في مثل هذا الوقت، وبمناسبة الوقت، أنت في عام ٢٠٦٧، وتحديدًا السابع من شهر يوليو الموجود في هذا العام»

سكن الرجل في مكانه بالتسجيل من جديد، أما أكرم فكانت أغلب المعلومات التي سمعها في إجابة هذا السؤال تبدو قديمة له، فهو يعرف أنه في فندق فيرجينيا، ومنذ استيقاظه وهو يسمع عن النوم لخمسين عامًا، لذلك لم يأخذ وقتًا طويلًا في الإدراك ودلف إلى السؤال الثاني مباشرةً، نظر إلى الأسئلة بحماس ثم قال بإصرارٍ شديد:

- من أنت؟

خمس ثوانٍ على الأرجح هي المدة التي أخذها التسجيل في معالجة صوت أكرم والتعرف على السؤال، لتخرج الإجابة:

«أدعى منير الجنايني، أستاذ دكتور بكلية الطب، ولي الكثير من الاسهامات في مجال البحث العلمي، ربما لم تسمع عني لذلك السبب، فلو كنت لاعب كرة أو مُمثلًا لتصدرت الصحف والمحطات التليفزيونية، ولسمع بي القاصي والداني، لكنني كما أخبرتك، مجرد طبيب وباحث علمي، ميت على الأرجح قبل خمسين عامًا، ومُخول بمهمة إنقاذ البشرية»

أخذ أكرم سؤالين وبقي له سؤالان فقط، عليه بالتأكيد أن يكون أكثر حذرًا إن كان يود تحقيق الاستفادة الكاملة من الأسئلة، لذلك، وعندما جاء

دور السؤال الثالث، ظل يتفحص الورقة بأكملها لأكثر من دقيقتين، كان يُفتش عن السؤال الكافي الشافي بالنسبة له، وهو ما وجده بالفعل في السؤال الذي تسمرت عينه عليه للحظات، نطق أكرم بالسؤال:

- ما الذي يحدث بالضبط؟

كالعادة، عادت الروح إلى التسجيل من جديد في أقل من خمس ثوان، وكأنه خلال تلك الثواني القليلة قد تمكن من فك شيفرة السؤال وتجهيز الإجابة، قال الرجل في التسجيل:

«هذا هو السؤال الذي كنت أنتظرك أن تسأله، إنه بلا شك السؤال الأهم والأكثر طلبًا في الإجابة، لكنه كان ولا يظل سؤال اللغز، حيث يؤسفني إبلاغك أنني لن أستطع الإجابة عليه في هذا الفيديو القصير، ربما لأنني قد أجبتُ عليه بالفعل، استعن بالوقت وابحث خلفه لتجد الإجابة على سؤالك، لا تذهب بعيدًا، وتذكر مرة أخرى أن الوقت هو كل شيء، والإجابة بين جنبات الملاذ الأخير، أحصل على إجابتك ثم تعالى إلى مرآة الملاذ لتُكمل الأسئلة الخمسة»

أنهى الرجل الموجود في الفيديو المسجل حديثه ثم انطفأت المرآة بعدها، بينما كاد الجنون يُحاصر أكرم، والذي كان يعتقد أنه سوف يجد الإجابة على جميع أسئلته في التو واللحظة، وأن زمن الألغاز قد انتهى بدخوله الملاذ الأخير، ولهذا اختار السؤال الرابع وتلفظه أمام المرآة، لكن شيئًا ما لم يحدث على الإطلاق، لتتأكد جدية صاحب الفيديو المسجل، ويُدرك أكرم أنه مُطالب الآن بالبحث خلف لغزٍ آخر من أجل الإجابة على السؤال الأهم في كل هذا العبث.

في الحقيقة كان ثمة سِنة من الثقة قد خالجت أكرم بسبب قدرته على حل اللغز الأول، وكذلك لأن الحيز الذي عليه أن يبحث به أقل بكثير من سابقه، بمعنى أدق، الخيارات محصورة جدًا، ولن يستغرق حل اللغز أكثر من دقيقتين أو ثلاث، هكذا كان يظن، وهكذا سيتضح فيما بعد أنه كان مُخطئًا في هذا الظن.

(٦)

بدأ أكرم البحث لحل اللغز الثاني مع نهاية رسالة الفيديو المسجلة، كان يسابق الوقت ويعرف أن الأمور لن تمر بخير إلا بمجاراة تلك التعليمات التي تُتلى عليه من حينٍ إلى آخر، يشعر أن خللًا ما قد أصاب الكون فعلًا حسبما يدل كل شيء في هذا الفندق، فبأي عقل يذهب شاب لمقابلة عمل عادية ثم ينام ويستيقظ ليجد نفسه قد نام خمسين عامًا إثر تجربة غريبة، وأنه مُطالب بحل الكثير من الألغاز فقط من أجل النجاة بنفسه، لكن أكرم، وبطريقةٍ لا يُمكن إخفائها، كان مُستمتعًا بتلك الألغاز ويشعر بنشوة رائعة عند حلها.

مُذ كان صغيرًا وهو يخوض المعارك على كل الأصعدة، لكن، لم تكن أيًا من هذه المعارك قادرة على إثارته واستنفاره إلى هذا الحد، لقد أعمل كل عقله وعثر على مفتاح الملاذ الأخير، والآن هو يبحث عن حل لغز آخر سوف يُمكنه من الإجابة عن كل الأسئلة التي يحتاج لإجابتها، أي مُتعة يُمكن أن يجنيها شخص أكثر من هذه، لكنها بالتأكيد ليست متعة كاملة، فهي ممتزجة بالخوف من الفشل في أي خطوة من الخطوات، كان يحاول أن يطرد فكرة واحدة من رأسه باتت جاهزة للانقضاض والسيطرة عليه، أن يظل في هذا المكان المجهول للأبد، ولا يسمع به أو يعرف عنه أحد.

تحت الفراش وخلف العقاقير وأسفل السجاد وتحت المكتب، بحث في كل مكان وصلت إليه يديه ورأته عينه، ولم يكن يبحث عنه موجودًا في أي مكان من هذه الأماكن، لكن، ما الذي يبحث عنه أكرم من الأساس؟

في الحقيقة هو لا يعرف، وعلى ما يبدو أنه كان قريبًا من ارتكاب نفس الخطأ الذي ارتكبه عند البحث عن مفتاح الملاذ الأخير، لذلك وجد نفسه يجلس على السرير ويُفكر في الشيء الذي يُمكن أن يكون إجابة عن سؤاله للمرآة، إنه بالتأكيد إما رسالة صوتية مُسجلة أو تسجيل فيديو، أو يُمكن أن يكون الأمر يتعلق بورقة، تمامًا مثلما هي الأسئلة في ورقة يمكن ببساطة أن تكون الأجوبة في ورقة أخرى، ولهذا وجد نفسه تلقائيًا ينظر

إلى المكتب المُكتظ بالأوراق المبعثرة.

*****

كانت الأوراق الموجودة على المكتب كثيرة إلى الحد الذي يصعب معه قراءتها في مدة قصيرة، والحقيقة أن الرسالة التي سمعها أكرم منذ دقائق ما زالت تدوي في رأسه إلى الآن، لقد قال له الرجل في الرسالة المسجلة بالمرآة ابحث خلف الوقت واستعن به، يشعر أنه لو بدأ البحث في تلك الأوراق واستغرق وقتًا طويلًا فسوف يفوته الوقت المُحدد لحل اللغز، لذلك وجد نفسه يتشمر ثم يبحث في الأوراق ويُصنفها بسرعة لم يكن يحلم أبدًا بالوصول إليها، ولوهلة أخرى وجد نفسه يُفكر في أن تصنيف تلك الأوراق هي مهنته التي جاء إلى الفندق قبل خمسين عامًا من أجلها.

لاحظ أكرم أثناء التصنيف وجود بعض الوصفات للأدوية والأبحاث وأوراق التخطيط، لكن أكثر ما لفت انتباهه كان وجود الكثير من المعلومات التفصيلية عن المُترشحين للوظيفة معه، معلومات لا يُمكن أبدًا أن يحتاجها شخص من أجل توظيف شخص آخر، فمثلًا، عندما جاءت عينه على ملف باسم «حامد خمد»، وهو رجل مكتوب أنه في السبعين من عمره، تمامًا كما كان يبدو الرجل العجوز الذي شاهده أكرم، وجد أنه من ضمن المعلومات الموجودة عنه حبه الشديد لأحد أحفاده وغضبه من أحد أبنائه بسبب هجره له، كما أن التأخر في جرعة من جرعات الدواء لأكثر من ثلاث ساعات قد يؤدي إلى وفاته المباشرة، وهنا وجد أكرم نفسه مُتسائلًا، إلى أي حد يُمكن أن تُضيف معلومات كهذه إلى صاحب الوظيفة؟ وكيف أصلًا قام بجمعها وهي من المفترض أمور خاصة سرية!

في الأوراق المتعلقة بفتاة في السادسة والعشرين تُدعى «أمنية السعيد»، لاحظ أكرم شيء كاد يُثير جنونه، وهو وجود سجل بعلاقاتها العاطفية والأسباب التي أدت إلى فشلها، كانت ثلاث علاقات حسبما التقطت عينه، لكن عقله لم يكن قادرًا أبدًا على التقاط الرابط بين الوظيفة والتقدم لها وأمور مثل هذه، كما أن شيء مثل أحجام الثدي ومتوسط

دائرة الخِصر، لم يكن يتوقع أبدًا العثور عليها في ملف الفتاة، والتي كانت تحمل مفتاح أكرم الضروري للملاذ الأخير.

ملف الفتى ذو السادسة عشر عامًا لم يغب أيضًا من أمام أكرم أثناء البحث، كان اسمه «عمر حسن»، وكان مكتوبًا في وصف علاقته بوالديه أنه ناقم على كليهما بسبب إهمالهما الشديد له بالرغم من اقترابه من المرحلة الثانوية الفارقة، وأنه يواجه عالمه المُتهاوي من وجهة نظره بعالم آخر يقوم ببنائه من خلال قراءة الروايات، وأحيانًا كتابتها، فقد ذكر الملف التعريفي أن عُمر كان له بعض المحاولات السرية في الكتابة، وهنا كان السؤال المنطقي يدور في رأس أكرم، إذا كانت فعلًا سرية، فكيف عرف بها من قام بإعداد الملف؟ ولماذا أيضًا يحتاج تلك المعلومات في الوظيفة؟

الملف الأخير في الملاحظة بالنسبة لأكرم كان ملف الرجل الرصين الذي رشحه أكرم بقوة للوظيفة المجهولة، مكتوب في الملف أنه رجل في الثانية والأربعين من عُمره يُدعى «كمال رشاد»، وأنه قد عمل بالكثير من الوظائف من قبل وأثبت كفاءة عالية، لكنه دائمًا ما كان يتركها بحثًا عن الأفضل من الناحية المادية، وقد أشار الملف كذلك إلى نقطة شخصية في حياة كمال لم يعد أكرم يتعجب بعد من وجود مثيلاتها، وهي أن كمال بالرغم من تجاوزه سن الأربعين ووجود القدرة المادية إلا أنه لا يزال عازبًا، وقد رجح الملف سبب ذلك إلى وجود بعض المشاكل في الميول الجنسية، أو يمكن القول شذوذًا، والحقيقة أن وصف الحالة السرية للرجل كان دقيقًا للدرجة التي أثارت إعجاب أكرم قبل اندهاشه.

أكمل أكرم تصنيف الأوراق حتى انتهى من المكتب بأكمله، لا شيء سوى الملفات ووصفات الأدوية وخطط عمله، أما إجابة سؤاله فكانت لا تزال حائرة لا يعرف مكانًا لها، لكن عقله ذهب إلى التفكير في أمر آخر، خاصة بعد مطالعة ملفات المرشحين الأربعة للوظيفة، وهو الشيء الذي كُتب عنه في الملف الخاص به، كان الفضول يُحركه ويحثه بشدة حتى انتصر في

النهاية على خوفه من نفاذ الوقت وحرصه على العثور على إجابة السؤال.

تحرك أكرم باتجاه المرآة حيث الملف الخاص به الذي وضعه أمامها، لم يفتح من قبل سوى الورقة الأخيرة المُتعلقة بالأسئلة، لكنه لم ير بعد ما كُتب في الصفحات الأولى عن حالته وصفاته، كان يتطلع منذ زمن إلى من يكتشف ثغراته وعاداته، والواقع أن ما وجده في الملفات الأربعة أكسبه الثقة فيمن قام بإعدادها، إذًا، ما سيقرأه الآن في ملفه الشخصي المُعد سيكون أقرب إلى حقيقته التي قد لا يعرفها أحد، ولا حتى هو نفسه.

*****

فتح أكرم الصفحات الأولى من الملف الخاص به، وجد في بدايته تاريخ ميلاده الحقيقي الذي ربما لا يعرفه أحد خارج نطاق عائلته، لقد وُلد في اليوم قبل الأخير من عام ١٩٨٩ لكن تم تسجيله في اليوم الأول من عام ١٩٩٠، أمر غريب أن يُعرف التاريخ، بيد أنه بالطبع لم يكن مُندهشًا مقارنةً بما كُتب في بقية الملف من أسرار وأمور يُفترض أنها خاصة وشخصية إلى أبعد حد، منها مثلًا التبول اللاإرادي الذي لازمه حتى سن البلوغ.

كان أكرم قد بدأ فعلًا في نسيان مسألة التبول اللاإرادي التي عانى منها حتى سن الخامسة عشر، كان ينام بصورة عادية ثم يستيقظ فيجد نفسه مُبللًا الفراش عن آخره، كان مجرد طفل، لكنه ظل مندهشًا من تلك العادة الغريبة حتى أقلعت عنه، والحقيقة أنه قد سمع الكثير من المبررات والأسباب لتلك العادة إلا أنه لم يكن مُقتنعًا بجميعها.

قيل له مثلًا أن ما يفعله على سريره خلال النوم يبدأ في النهار، حيث الخوف الذي يشعر به والأذية النفسية التي يلقاها ممن حوله، بيد أنه لم يكن يحدث أي شيء مما سبق معه، فقط كان ينام ويبلل فراشه، دون سبب طبي قاله الأطباء الذين تناوب على زيارتهم مع والدته عشر سنوات مُتعاقبة، لقد علمه هذا الأمر أن كثيرًا من الأشياء يُمكن أن تحدث بلا أي سبب، هكذا كان يظن، حتى أكمل ما كُتب عن الأمر في الملف.

يقول التقرير الموجود في ملف أكرم والمتعلق بالتبول اللاإرادي أنه كان

ثمة سبب لهذا تبول لم يعرفه أحد أبدًا، ولا حتى الأطباء أنفسهم، وهو أن والدة أكرم كانت تُعاني من نفس المرض، لذلك كان من الطبيعي أن يرثها أحد أطفالها، وقد أكد التقرير على أن ما كانت تتعرض له والدة أكرم كان بسبب، وهو الخوف من والدها شديد الصرامة.

يتابع التقرير قائلًا إن ما تعرض له أكرم مجرد مرض وراثي لا أسباب له، وبالطبع ألمح إلى أن الأطباء لم يكتشفوا ذلك الأمر لأن والدة أكرم رفضت مصارحتهم، أو مصارحة أي شخص آخر عدا أكرم، بأنها كانت تُعاني من هذا المرض في صغرها، ولا بد أنها راعت عدم التعرض للإحراج الأبدي أمام زوجها وأطفالها، أما أكرم فيتذكر جيدًا أنه قد حفظ السر ولم يُفشه لأحد، ليبقى السؤال الذي تغلغل في رأسه بعد قراءة الجزء المتعلق بالتبول وسببه، كيف علم التقرير بذلك الأمر؟

لم يتوقف علم التقرير الشامل بأمر التبول اللاإرادي فحسب، فقد وجد أكرم كذلك واحدة من الحوادث التي لم يكن يتوقع أن يعرف أحد بحدوثها في حياته، إنها الحادثة التي جعلته يعتقد أنه الفتى الأكثر جرأة في هذا العالم.

عند وقوع الحادثة كان عُمره العاشرة حسبما ذكر التقرير، لكن أكرم كان بوسعه أن يتذكر التاريخ بالضبط، إنه السابع عشر من مارس عام ٢٠٠٠، لقد كان عمره وقتها عشر سنوات وثلاثة أشهر وسبعة عشر يومًا وإحدى عشرة ساعة بالتحديد، إنه تاريخ لا يُنسى لكونه قد شهد على اعتراف أكرم بالحب الذي دام لخمس سنوات أو يزيد، كانت نور، وكل شيء فيها كان مُضيئًا مثل اسمها، كان بوسعك أن تلبس نظارتك وتعتمر قبعتك عند رؤيتها كيلا يأخذك النور في طريقه، كانت شيئًا جميلًا جدًا ومُبهجًا، والأهم من كل ذلك أن أكرم قد سقط في حبها منذ النظرة الأولى، وأي قصة حب هذه التي يُمكن أن تفشل بعدما تبدأ بنظرة أولى وحيدة وساحرة!

يقول التقرير، كما هي الحقيقة بالضبط، أن أكرم كان في صغره أخجل

طفل يُمكن أن تراه في حياتك، كان يخجل حتى من كشف عورته أمام نفسه، وكانت الأرض هي وجهته الوحيدة خلال سيره في الطرقات، ينظر إليها ولا ينظر للناس، يخشى أن تصطدم عينه بفتاة جميلة فيحمر خجلًا ويبدو كبندورة حمقاء أمامها، لكن كما نعرف جميعًا، أكثر ما نخشى منه هو أكثر ما يحدث لنا بكل تأكيد، فذلك الاجتياح الذي قامت به نور في حياته لم يكن ليتركه دون إسقاط أي خسائر، حتى ولو كانت تلك الخسارة هي قلبه.

يُتابع التقرير الطويل الذي كُتب عن حالة أكرم العاطفية أن أكرم الخجول لم يكن بإمكانه إخفاء شغفه وحبه أكثر من عام دراسي واحد، فقد كانت نور تُلازمه في نفس الفصل، يراها في اليوم أكثر من مرة، وطبعًا أنتم لا تتخيلون كيفية تحمل اقتراب الشمس منك كل هذا القدر، لكن أكرم كان يفعل، إلى أن جاء السابع عشر من مارس وأنهى المغامرة كاتبًا نهاية قصة حب أجرأ فتى في العالم بهذا الوقت.

يقول تقرير الحادثة ببساطة أن أكرم في هذا اليوم، وبعد إقناعٍ شديد من صديقه الذي لاحظ الشغف والحب في عينيه، قام بكتابة مرسالٍ غرامي مكون من كلمات بسيطة تعبيرية عن الحب ثم وضعه في أحد جيوب حقيبة نور أثناء عدم وجود أي طالب في الفصل وجلس بعدها ينتظر الإجابة التي خُيلّ له أنها ستجعله أسعد شخص على هذا ظهر هذا الكوكب، لكن، قبل المغادرة بقليل، وجد أكرم أوراقًا منثورة تتطاير في وجهه، وخمنوا من المُلقي؟ إنها نور.

كل ما تبقى من ذكريات في هذا اليوم كان يحمل لون السواد أو الرماد على الأقل، فقد عانى أكرم الأمرّين حتى عاد للبيت وتخلص من سخرية زملائه التي لازمته طوال اليوم بسبب الطريقة التي عبرت بها نور عن رفضها لحبه، أو سخافته وقلة أدبه حسبما ترى الفتاة المتعجرفة، وطبعًا كان من المنطقي جدًا أن يتغيب أكرم عن المدرسة ويتوارى في بيته أسبوعًا كاملًا قبل أن يُراوده خاطر مجنون وغريب، لقد سأل نفسه مُتعجبًا، من تكون نور هذه لترفضني؟ ثم تناساها تمامًا ولم يُعرها أي

اهتمام بعدها.

يتعجب التقرير جدًا من التصرف الغريب الذي أقدم عليه أكرم ونسيانه لحبه بهذه الطريقة، كان مجرد طفل أجل، لكنه لم يكن طفلًا عاديًا، فحتى الأغراض والألعاب عندما يتعلق الطفل بها لا يُمكنه أن ينساها بهذه السرعة، وهو بكل بساطة فقد ذاكرة الحب ونسي نور تمامًا وكأن شيئًا لم يكن، والحقيقة أن تعجب التقرير لم يمنع أكرم من نسيان تعجبه من معرفة أمر كهذا، أمر من المفترض أنه سره الأعظم في حياته، وقد كان من المنطقي أن يُفكر أكثر من ذلك في معرفة التقرير لمثل هذه الأمور المُحيرة عنه هو وبقية المترشحين للوظيفة إلا أن دقات الساعة الموجودة فوق المرآة انتزعته من هذا الأمر وأعادته مجددًا إلى الواقع الذي يعيشه، بدا واضحًا جدًا أن الوقت المقصود قد نفذ!

*****

(٧)

وقف أكرم بمنتصف الملاذ الأخير في حيرة شديدة، لقد تفحص المكتب بأكمله ولم يجد أي شيء يُفيد في حل اللغز، وعلى ما يبدو أن دقات الساعة التي انطلقت قبل قليل كانت تقول بوضوح أن الوقت المُحدد للإجابة عن السؤال قد انتهى، إذًا، ليس بيده شيء الآن سوى انتظار أي أمر آخر قد يحدث ويُقربه من اللغز، لكن فكرة الانتظار لم تكن بهذه السهولة كي يقوم بتنفيذها، ضع نفسك في الجحيم ثم انظر ما الذي يُمكنك فعله بذلك الانتظار اللعين!

في ومضة تفكير عابرة سأل أكرم نفسه إذا ما كان الانتظار يصلح أن يُستخدم كأداة تعذيب شديدة الفاعلية أم لا؟ هل من الممكن مثلًا أن تُحضر خمسة أشخاص مذنبين ثم تحكم عليهم بالإعدام رميًا بالانتظار؟ أو تُعاقبهم بالانتظار لمدة عشرة أعوام إذا كان الذنب يتماشى من العقوبة، هل من الممكن حقًا أن يكون الانتظار صالحًا كي يُصبح أحد أبرز أدوات الإعدام التي تُستخدم في قتل البشر والتنكيل بهم؟

«بالتأكيد يصلح الانتظار لفعل ذلك»، أجاب أكرم نفسه بعد قليلٍ من التفكير، لكم سمع من القصص عن أشخاص قتلهم الانتظار الذي تعاون مع الشوق، في الحقيقة يُصبح الانتظار سلاحًا سامًا نافذ القتل إذا اختلط مع الشوق، وإن شابًا في السابعة والعشرين من عمره مثل أكرم ليس جديرًا بعد بقص حكايات العشاق الذين قتلهم الانتظار وسبب لهم الدمار، فتى مثله نسي محبوبته نور بين يومٍ وليلة لا يستحق أبدًا نيل شرف التحدث عن أمور عظيمة مثل الانتظار والعشق، هو فقط مُطالب بالتركيز فيما هو فيه من لغز، ومن الأفضل له أن يبدد وقت انتظاره بشيء مُتعلق بذلك.

فضل أكرم تبديد أوقات الانتظار في اختبار قوة ذاكرته، أن يتذكر مثلًا نص رسالة الفيديو التي سمعها من المرآة قبل قليل، أعطى أملًا لنفسه أنه لربما يجد بها أي شيء يقوده إلى أي شيء، بدأ يتذكر، لقد قال الدكتور منير الجنايني في نهاية رسالة الفيديو المسجلة إذا كانت الذاكرة قد أنصفته:

«استعن بالوقت وابحث خلفه لتجد الإجابة عن سؤالك، لا تذهب بعيدًا، وتذكر مرة أخرى أن الوقت هو كل شيء، وأن الإجابة بين جنبات الملاذ الأخير، احصل على إجابتك ثم تعال إلى مرآة الملاذ لتُكمل الأسئلة الخمسة».

ما الذي يعنيه الطبيب بذلك؟

أيُطالبه بالاستعانة بالوقت؟ في الواقع كانت آخر مرة استعان بها أكرم بالوقت قبل نومته الكبرى بساعات قليلة، وتحديدًا عندما تجهز وفعل كل ما لديه كي يصل في الموعد المحدد إلى مكان عمله الجديد، هذه آخر استعانة بالوقت يتذكرها، وللأسف لم يحصد منها سوى جحيم لا يعرف بعد هل سينتهي وما الذي سيكون عليه عند كتابة كلمة النهاية به!

يقول له الطبيب لا تذهب بعيدًا!

ما الذي يفعله أكرم أصلًا منذ دخوله إلى هذا الفندق؟ بالضبط، إنه

يحاول بكل ما لديه أن يذهب بعيدًا عن هذه القطعة الكبيرة من الجحيم، لكنه في النهاية لا يستطيع، هو أصلًا ليس سيد قراره في هذا المكان، لذلك من غير المنطقي أبدًا أن يُطالبه الطبيب بالذهاب بعيدًا عن مكان هو في الواقع مجرد سجين به، إذًا هذا ما يتعلق بالوقت وعدم الذهاب بعيدًا، لكن ما الذي يعنيه يا تُرى بالبحث خلف الوقت!

بدأ أكرم يسترجع ذكريات اللغز الأول، لقد كان يبحث في البداية عن مفتاح عادي مثل بقية المفاتيح، لكنه اكتشف مع الوقت أن المفتاح المقصود لم يكن سوى خاتم الفتاة، إذًا الأمور لا تجري كما يظن في بادئ الأمر، وهنا بدأ يلوح في الأفق احتمالية خطأه في البحث، أو أنه أصلًا بدأ البداية الغير صحيحة وأضاع الوقت، على ذكر الوقت، لقد أمره صاحب الفيديو المُسجل أن يبحث خلف الوقت ويستعن به في حل اللغز، وإن كان عليه أن يُطبق نفس نظرية اللغز الأول ولا يأخذ الأمور بظاهرها فأن الوقت المقصود هنا هو الساعة الموجودة فوق المرآة ولا شيء غيرها.

كم هو ذكي!

لقد أدرك أخيرًا ما يعنيه اللغز، الوقت هو الساعة، والفيديو المُسجل الذي أمره بألا يذهب بعيدًا كان يقصد بذلك ألا يبتعد عن المرآة، لهذا إذًا دقت الساعة منذ قليل، لقد كانت رسالة استدعاء لأكرم، وها هو يتمكن بعد إعمال عقله فهم الرسالة، ركض باتجاه المرآة ثم شب ليصل إلى الساعة، حركها من مكانها فسقطت من خلفها مُذكرة صغيرة يغمرها التراب، نفض ترابها ثم فتحها، فوجد في فاتحتها كلمة «مذكراتي».

هكذا يتضح كل شيء، سيحصل الفتى على إجاباته من خلال قراءة مذكرات الرجل الذي كان سببًا في كل شيء، دكتور منير الجنايني، لكن يا تُرى ما الذي يُمكن أن يكتبه رجل مجنون كهذا من وجهة نظر أكرم؟ كيف سيُمكنه الدفاع عن نفسه أمام سيل الاتهامات التي يُجهزها الفتى المشحون له؟ عن زملائه المترشحين في الوظيفة وكيف ماتوا؟ عن استخدمه كفأر تجارب لا قيمة له دون علمه حتى! عن أي شيء بالضبط

سوف يدافع منير الجنايني!

تراجع أكرم باتجاه السرير وأسند رأسه إلى الحائط ثم فتح الصفحة الأولى من المذكرات بادئًا القراءة من الثاني والعشرين من نوفمبر الموجود في عام ٢٠١٦، أو حيث بدأ كل شيء كما عنون صاحبها.

*****

(٨)

٢٢ نوفمبر ٢٠١٦

وكأنني ارتعب من الموت!

خرجتُ من عند الطبيب مُغمرٌ برجفةٍ غير عادية، أخافني الموت، وما كُنت أحسب أن رجلَ مثلي وهب حياته لإنقاذ حياة الناس سوف يرتعب هكذا عند دنو أجله، ظننتني أقوى من أي شخص آخر، لكنني اكتشفت الآن أنني مثل الجميع، أتشبث بالحياة وأخاف من الموت، لكن، هل أخاف منه نجاةً بحياتي؟

أجبتني «لا» بعد تفكير طويل، أنا لا أخاف من الموت أبدًا، وهذا السرطان النادر الذي بدأ يضرب في جسمي ويتوقع الطبيب أن يقتلني قبل عام من الآن، لا يعنيني في شيء، في الواقع أنا أخاف على الناس من الموت، وأعرف أنني الشخص الوحيد القادر على مواجهته عندما يأتيهم، آهٍ لو كان بإمكاني إخبار البشر بما يُحيكه الموت لهم، آهٍ لو كان بإمكاني إخبارهم بأن موسم فناءهم سوف يحل قبل خمسين عامًا، آهٍ لو كان بإمكاني إخبارهم عن طاعون القرن الحادي والعشرين الذي لا يعلم به أحد سواي.

قبل ستة أشهر قادتني أبحاثي الطبية إلى التوصل لمرضٍ غريب سوف يضرب البشر خلال العقود القليلة المقبلة، لن يتمكن أحد من إيقافه لأنه سينتشر في الهواء، وطبعًا الهواء سيتكفل بنقله في كل مكان بالعالم، الغريب أنه ما بين دخوله الجسم وانتشاره وتسببه في الموت خمس

دقائق فقط، سيفنون إذًا، ولن يتمكن أحد من التصدي له، لن يملكوا الوقت أصلًا ليفعلوا ذلك، وكأحمق يعيش في مصر توجهت على الفور إلى مبنى وزارة الصحة لأحذرهم من المرض وأطلب الاستنفار الطبي العالمي.

كنت أتخيل أنني في غضون أسابيع قليلة سوف أكون جالسًا على مكتب اجتماعات المجلس الطبي الدولي لأشرح لهم كيف اكتشفت المرض وكيف يُمكن لذلك المرض أن يقضي علينا في أقل من عام، كُنت مُجرد أحمق كما ذكرت، وكنت قد نسيت أمر هام جدًا لا يُمكن نسيانه، وهو أنني أعيش في مصر!

ذهبتُ إلى المكان الصحيح حسبما توهمت، وبالرغم من كوني طبيب مُتخصص أدرّس الطب في جامعة القاهرة منذ أكثر من عشر سنوات إلا أن أحدًا ما لم يُعرني أي اهتمام، بل وبكل بساطة أخذ المسئول في وزارة الصحة ملف المرض المُنتظر مني ثم وضعه في الدرج وأعطاني ابتسامته السمجة وطالبني بالانصراف وانتظار الاتصال في القريب العاجل، وبكل أسف صدقت!

مضت قرابة الشهرين ولم يُتلفنّي أحد، تجاهلوني، وكأنني قد حزرتهم من بالوعة صرف مفتوحة في قارعة الطريق وليس مرض خطير يُتوقع أنه سيقضي على البشرية في غضون السنوات، شعرتُ بالتحطم، لكن مهمة إنقاذ العالم ألزمتني الصبر وأجبرتني على المواصلة.

حاولت وحاولت، أطلقت ناقوس الخطر وذهبت إلى كل مكان يُمكن أن أطلب فيه المساعدة بأمر كهذا، لكنهم قد أغلقوا كل الأبواب في وجهي، تمنيت لو أنني أكره العالم ولا أهتم لأمره كل هذا الاهتمام، الحمقى يظنون أنني أطلب المساعدة لنفسي، أغبياء، لقد كنت أحاول إنقاذهم، بضعة أشهر وسيقتلني السرطان لا مفر، أما هم، فسيفنون بطريقة وحشية، سيتملكهم الجوع وسيأكلون من جثث بعضهم لمواجهته، والويل لمن تبقى منهم، سيُصبحون لقمة سائغة للحيوانات التي تتحين الفرصة منذ زمن للانتقام من البشر.

الموت قادم لا محالة، وأنا الوحيد الذي يعرف بقدومه، لكنهم بالرغم من ذلك يتجاهلونني ويتهامسون بأن هوس الطب قد تملكني، جاهروني أكثر من مرة ووصفوني بالمجنون، الحمقى لا يعرفون أنني مُحق، ربما سيأتي أحد بعد عدة سنوات ويقرأ تلك الكلمات ليُبرهن على ما يقول، لكن الأوان سيكون قد فات، والجميع قد هلك ومات.

في الحقيقة ببادئ الأمر أصابتني ومضةٌ من الكره، فكرتُ في أنه أسوأ عقاب لهؤلاء المُتخاذلين والمُثبطين أن أتركهم للموت هم وأولادهم وأحفادهم وكل أحبائهم، سأكون ميتًا، ولن ينفعني أو يُضرني في شيء موتهم أو بقائهم على قيد الحياة، كنت أفكر في الانتقام، بل ولأول مرت تمنيت لو سافرت إلى أي بلد أجنبي تحترم الإنسان وتسمع لطبيب مرموق مثلي إذا جاء يُحذر من مرض كهذا.

في بلادٍ غير بلدي على الأقل كانوا سيفتحون أبحاثي وتحاليلي وينظرون في الأمر، ولن يلقونه في درج القمامة هذا، لكنني لا أستطيع السفر، ولا وقت أصلًا لذلك، كما أن فكرة الانتقام هذه سوف يتأذى منها أشخاص أحبهم، أمي، وزوجتي رحاب، وطفلتي الوحيدة فيرجينيا، سأنقذ العالم من أجلهم على الأقل.

أغفلت مُرضي وتوقفت عن علاجي، لا سبيل لنجاتي، أما هم، ولو عاملوني بأسوأ من هذا، فمن الممكن نجاتهم، ثمة أمل بالتأكيد، وليس عليّ الآن بعد اكتشاف الداء سوى البحث عن الدواء، سأفعلها بالتأكيد، هكذا أنا مُذ وطئت الحياة، لم تغلبني قط، حتى أسوأ شيء فيها تجرأت وواجهته، والآن أواجه الموت وفناء البشرية، ولا يشغلني شيء أكثر من التغلب عليه والحفاظ على البشرية لأطول وقت ممكن، لكن، كيف يُمكنني فعل ذلك الأمر؟

تقدمتُ باستقالتي للجامعة، أثرتُ تعجبهم وصدمتهم لكنني لم أكن أعبأ بذلك، أرسلتُ زوجتي رحاب وابنتي فيرجينيا إلى بيت أمي، أخبرتها أنني ذاهب إلى مؤتمر طبي دولي ببرلين لمناقشة أمور هامة، أخفيت أمر

المرض الذي سيحل بالبشرية بعد سنوات كيلا أثير ذعرها، أخفيت كذلك مرضي بالسرطان الذي سيقتلني قبل عام، لم أرد أن تراني وأنا أتلوى من المرض وأصارع الموت أمامها، كنت أحبها أكثر من أي شيء آخر، ولهذا الحب فضلتُ أن أبعدها عن كل ألم سأمر به خلال الشهور المقبلة.

تخيلوا أن المسكينة زوجتي قد صدقتني في كل ما قلت دفعة واحدة! الأدهى من ذلك أنها صدقت أيضًا أن جامعة في مصر سوف تُرسل طبيبها المسكين لحضور مؤتمر طبي في ألمانيا من أجل تبادل الخبرات، أي خبرات وأي جامعة يا رحاب! هذه عادتك، تنسين دائمًا أننا مصريون.

أغلقت بيتي على نفسي وحرمت عليها رؤية الشارع، أيقنت أنني في الوقتُ المُتبقي لستُ مُطالبًا بشيء سوى اكتشاف الدواء المناسب للداء، ولو كُتب لي وفعلتها، فإنني أشهد أني فعلت ذلك من أجل أمي وزوجتي وطفلتي أولًا ثم يأتي الكون كله خلفهم، إنه الثاني والعشرين من نوفمبر، وها أنا ذا قد سجلته وسجلت كل ما حدث لي خلال الفترة الأخيرة، أرجو أن أعود في يومٍ آخر لأكتب كيف حققت أعظم نصر في تاريخ البشرية، وإن متُ قبل أن أفعل ذلك فسامحوني، واكتبوا على قبري إنه الرجل الوحيد الذي حاول إنقاذ العالم.

*****

(٩)

نسي أكرم نفسه في القراءة تمامًا، لقد قرأ الجزء الأول بأكمله في عشر دقائق، بل إنه قد تراءى له وكأنه شريط فيديو مصور، كان الدكتور منير الجنايني صاحب المذكرات دقيقًا جدًا في الوصف ورائعًا جدًا في السرد، كومضةٍ ساذجة، فكر أكرم أنه لو لم يكن منير هذا طبيبًا لكان كاتبًا مشهورًا للروايات، وفي ظروفٍ مُختلفة عن هذه كان أكرم سيقرأ ما قرأه قبل قليل في روايةٍ خيالية من روايات الكاتب الشهير منير الجنايني، لكن على ما يبدو أنه لم يكن يتخيل أبدًا، ولكم أن تصدقوا، لقد كانت هذه اللحظة هي اللحظة الأولى التي يشعر أكرم فيها أن العالم فعلًا لا يسير بخير.

لا نوافذ لتُرضي الشغف الذي يأكل أكرم الآن، يتمنى لو ينظر إلى الشارع والناس ليعرف ما الذي نزل بهم، لا هواتف، يتمنى لو كانت موجودة ليُتلفن كل من يهتموا بأمره ويهتم بأمرهم، لا أحد ليسمعه ولا توجد أي وسيلة اتصال بالعالم الخارجي، ولو كان بإمكاننا رؤية أكرم في هذه اللحظة فسوف نرى شاب صغير من المفترض أنه في الثمانين من عمره، بحساب الوقت الدقيق، يضع يده على رأسه في حالة انتكاس واضحة!

لأول مرة تسلل الخوف الآخر إلى قلب أكرم، خوفٌ على الناس والكون الذي تركه قبل خمسين عام بحالةٍ هادئة، لأول مرة وجد نفسه يُفكر في كيفية إنقاذ العالم فعلًا ولا يُفكر في مجرد الخروج من فندق فيرجينيا المُخيف وإنقاذ نفسه، ولأول مرة كذلك شعر أكرم أن فندق فيرجينيا ليس مُخيفًا بالمرة، بل إن الخوف يكمن في مكان آخر!

لا يعرف لماذا، ولكن أكرم بدأ يشعر فجأة بأن الخوف الحقيقي ينتظره خارج أسوار ذلك الفندق، بدأ يُفكر في الحالة التي أصبح الناس عليها الآن، لابد أن من بقي منهم يُعانون أشد المعاناة ويهربون من الموت كالفئران، تخيل أكرم الجزئية التي قال فيها الدكتور منير بمذكراته أن الحيوانات تتحين هذه اللحظة منذ زمن كي تحكم الأرض، سأل نفسه، هل حقًا تبحث الحيوانات عن حكم الأرض، هل حقًا أن العائق الوحيد بالنسبة لهم كان كثرة أعداد البشر، هل انتهى كل شيء؟

بدأ شريط اضطهاد الحيوانات واصطيادها يدور في ذهنه، تذكر الأوقات التي كان يركل فيها القطط ويُلقى الكلاب بالحجارة ويُعذب العصافير، كانت بالنسبة له مجرد حيوانات ضعيفة، لكن الآن، أصبح الكون كله لها، تتبختر فيه حيث تشاء وكما تشاء، أما ما تبقى من البشر فبالتأكيد لقد أخذوا دور الحيوانات وهرعوا إلى الغابات والمناطق المتخفية ليتواروا عن أنظار الكائنات الأقوى في هذا الوقت، كم هو غريب هذا المستقبل الذي كان ينتظره؟

آهٍ لو عاش حياته الطبيعية ومات في وقته الطبيعي، كان سيظفر بستين

عامًا على الأرجح، ويموت بين أولاه وأحفاده بصورة شاعرية قبل أن يرى هذا الجحيم، أو على الأقل كان من الممكن أن تفشل التجربة معه مثلما هو الحال مع باقي المترشحين الأربعة، كان سيموت ويستريح، لكن الآن، هو المخول بإنقاذ العالم وإعادة الأمور إلى نصابها، لكن كيف؟

كان أكرم قد قرأ من مذكرات الدكتور منير الجنايني حتى وصل إلى الجزئية التي بدأ فيها البحث عن الدواء، أمسك أكرم المذكرات من جديد وأعطى لنفسه جرعة كبيرة من الأمل، قال في نفسه إن الرجل الذي لم يُهزم قط، كما قال في مذكراته، لن يفشل بالتأكيد في إيجاد الدواء المناسب لهذا الداء، سيُتابع القراءة على أمل أن تنصلح الأمور كلها فيما تبقى من المذكرات، كان لديه يقين غريب بأن منير الجنايني هذا لن يكون الشخص الذي حاول فقط، وإنما الشخص الذي حاول ونجح أيضًا، بتفاؤل غير عادي، فتح الصفحة التالية وحرك لسانه ببداياتها، حيث اليوم التاسع من شهر مايو الموجود في عام ٢٠١٧.

*****

(١٠)

٩ مايو ٢٠١٧

هذه أعظم ليلة في حياتي

انتهيت مُنذ قليل من البحث الذي ظللتُ أعمل عليه منذ أن اكتشفت المرض، أخيرًا وصلت إلى الحل، عرفتُ السر قبل أن أموت، ما كنت أحسبُ أنني سأصل إلى الدواء بهذه السرعة، خذلتُ اليأس واحتضنت الأمل، بات بإمكاني إنقاذ العالم، أتمنى لو كنت على قيد الحياة لأرى فرحة الناس بانتصارهم على المرض، وأتمنى أكثر أن يقبل المسئولون في وزارة الصحة مقابلتي غدًا للتحدث عن كل شيء، ولى زمن البحث وحان وقت التنفيذ، لو قُدر لي وأستيقظت في الصباح فإنني آمل أن أعود في ظهر الغد وأنا أحمل التصديق على قرار بدء البحث عن العلاج.

*****

٨ مايو ٢٠١٧

أشعر بأن الأمر مختلف هذا الصباح

استيقظت مع دقات المنبه الذي ضبطه ليدق في تمام السابعة، تناولت إفطاري وهندمتُ ملابسي وحضرت أظرف أبحاث الداء والدواء، كنت أسعد شخص يمكن أن تلتقي به في هذا اليوم، وكان مصدر سعادتي أنني أخيرًا سوف أضمن للعالم الحياة المثالية، وسأكتب انتصارًا جديدًا على أكثر شيء أكرهه في حياتي، الشيء الذي من المفترض أن ألتقي به قبل نهاية هذا العام، إنه الموت، وأنا منير الجنايني، لنرى إذًا من سيكتب كلمة النهاية الرمادية.

في مبنى وزارة الصحة قابلني الرجل الذي التقيته في المرة الأولى قبل شهور، كان مُتذمرًا عبوسًا، وعلى ما يبدو أنه قد تذكرني وتذكر الأمر الذي جئت من أجله، تغاضيت عن تذمره ونظرته المشمئزة لي، كان الهدف أسمى من أن أغضب من شخص كهذا لا يعرف أنني أحمل بين يدي طريقة إنقاذه هو وذريته من بعده.

هكذا الناس، لا يدينون بالفضل لأصحاب الفضل، ولا يشكرون من يستحق الشكر، فقد يفعلون خلاف كل ذلك ولا ينزلون أحد منزلته، لكنني لم أكن لأضع تفكيري في شيء كهذا، أي شكر أنتظره وأي تقدير أريده! أنا أفكر في إنقاذ العالم وهذا الشخص يُفكر في وجبة الغذاء، هذه هي الحياة وتناقضاتها.

جلستُ هذه المرة وبادرت بالابتسام، قُلت بأمل يتدلى من فمي:

- أنا منير الجنايني، الطبيب الذي جاءك قبل أشهر قليلة، تذكرني؟

أومئ الرجل العبوس المسئول بوزارة الصحة، أومئ بلامبالاة تحديدًا، لكنني كذلك تغاضيت عن تلك اللامبالاة وتابعت:

- لقد حدثت خلل الأشهر الماضية أشياء كثيرة، فبدلًا من معرفتي بالمرض أصبحت الآن أعرف الدواء، لقد توصلت إليه بعد بحث وجهد كبيرين، آمل أنكم ستسمحون لي بمقابلة...

قطعني الرجل بسخرية:

- تعرف كم شخص يأتي إلينا يوميًا ويدعي أنه توصل إلى دواء جديد لمرض جديد!

صمتُ ولم أحرك ساكنًا، تابع:

- الكثير والكثير، ولو كنا سنأخذ بعضًا من هؤلاء على محمل الجد فلن نأخذ بكلام شخص يدعي أن العالم سينتهي بعد خمسين عام لمرض غريب وأنه يملك الدواء المُلائم له.

تعجبتُ من استهزاء الرجل بي، قبل أن أغضب قلت مُتماسكًا:

- وما الذي يجعلكم لا تأخذون بكلامي؟

- لأنك وببساطة تعيش في مصر، والدول المُتقدمة في الطب عالميًا لم يُصرحوا بأمر كهذا لأنه ليس موجودًا أصلًا، وبالتأكيد أنت تعرف أنهم لن يفوتوا نهاية العالم بكل ما يمتلكونه من إمكانيات بينما سيعرف بها طبيب مصري ينسى المُعدات الطبية في أحشاء المريض عند إجراء العمليات.

- أتعجبُ أنك مسئول في وزارة الصحة المصرية وتقول هذا الحديث الساخر!

- أتعجب أنك من مصر وتدعي هذا الادعاء الساخر، أتحسب أن أموال الدولة في البحث العلمي متاحة لهذا العبث!

ضقت ذرعًا، ضربت المكتب بيدي وزعقت:

- أنت شخص أحمق، وتستحق أن تكون أول الميتين بهذا المرض!

- وأنت مُختل عقليًا وتستحق أن تكون في مستشفى المجانين.

تعالت أصواتنا وتشابكنا بالأيدي حتى جاء من فض الاشتباك، ولم ألاحظ خلال ذلك أنني كنت أمام كاميرات أحد الصحفيين الذين لم يفوتوا تصدير صفحات الأخبار بصورتي وعنونتها «طبيب مختل يدعي نهاية العالم».

عُدت للبيت وأنا في وضعية التحطيم النهائي، في اليوم التالي تركتُ أبحاثي ولم أواصل عملي الذي بدأته قبل شهور، أرسلتُ رسالةً لنفسي مفاداها أنني لم أعد مشغولًا بإنقاذ العالم من جديد، فليذهب إلى الجحيم هو وكل من به، وليبقوا كما هم مُعتقدين أن الأمور ستسير بخير دائمًا، وأن الموت بعيد عنهم كل هذا الحد الذي يظنونه، وعلى ذكر الموت، أنا الآن أفكر في أغرب قرار لم أكن أتوقع أنه سوف يمر بخاطري في يوم من الأيام.

في المساء بعد أن تناولت وجبة العشاء أمسكت بالدواء المُعتاد الذي يمنعني فقط من الألم، ولا يُمكنه بالطبع القضاء على المرض نفسه، أعددت الجرعة المعتادة وقبل أن أتناولها وصفتُ نفسي فجأة بأنني شخص جبان وضعيف، أنا آخذ الدواء لأهرب من الموت أو أتحاشاه قدر الإمكان، هذا هو الجبن، كما أنني أفكر الآن في العودة للأبحاث وإنجاز تقدم جديد فيما يتعلق بعلاج المرض المُنتظر، هذا هو الضعف والتراجع، وكأنني نسيت ما حدث لي من البشر عندما فكرتُ في إنقاذهم، وفي ومضة تفكير غريبة، وجدتني أحدث نفسي بالسبيل الوحيد للخلاص من الجبن والضعف.

فتحتُ النافذة وألقيت نظرة أخيرة على العالم الذي قضيت به سنوات تعاستي وفرحي، انتصاري وانكساري، ثم أغلقت النافذة للمرة الأخيرة، وهندمتُ فراشي للمرة الأخيرة، ورصصت أوراقي للمرة الأخيرة، وأغلقت حاسوبي للمرة الأخيرة، كانت هذه المرة الأخيرة في كل شيء، لأنني وببساطة قد فكرتُ في الانتحار والذهاب إلى الموت بدلًا من انتظاره، إذا كان أحد ما سوف يقرأ هذه الكلمات في يوم من الأيام فليعلم أن صاحبها حاول قدر ما استطاع، ثم فشل في النهاية.

(١١)

كان الكلام متبوعًا بصفحة بيضاء خاوية!

سيطر الرعب على أكرم عقب قراءته الجزء الثاني من مذكرات الدكتور منير الجنايني، ما هذا الذي يقوله؟ لقد انتحرا! ذهب وتركه هنا دون أن يُخبره بما عليه فعله، لماذا إذًا جلبه وفعل به ما فعل؟ هل هو الآن ينتقم منه بصفته واحدٌ من البشر الذين خذلوه، هل كل الجحيم الذي لاقاه في فيرجينيا، والسجن الذي يشعر به الآن، ليس شيئًا سوى انتقام من هذا المعتوه الذي يعتقد أن البشر مجرد فئران تجارب له يفعل بها ما يشاء؟

أخذت الأسئلة تدور وتدور في رأس أكرم الذي كاد ينفجر من التفكير في المآل الذي يمضي إليه، سيُنكل به بلا شك، وسيدفع الثمن على ما فعله معه المسئول في وزارة الصحة، لقد كذب، لم يخسر حربه على الإطلاق، وإنما نقلها من الموت إلى البشر، إنه الآن مجرد شخص ميت، لكن لابد وأنه مُستمتع بما فعله في أكرم ورفاقه.

بالتأكيد أي شخص كان ليتواجد في مكان أكرم لم يكن ليشعر سوى بهذه المشاعر، ويظن تلك الظنون، لكنه كان مُخطأ، وقد اتضح ذلك الخطأ عندما شعر بالغيظ مما قرأ فطوح المذكرات أرضًا على آخر يده لتُصدر صوت ارتطام ليس بالهين، ويحدث ذلك الأمر الذي بدا وكأنه يتحين ذلك الارتطام منذ زمن.

دقت الساعة من جديد وبُثت الحياة في المرآة مرة أخرى، هرول أكرم باتجاهها وتسمر مُنتظرًا الرسالة المُرتقبة، تمنى لو أن مُنير الجنايني هذا موجود أمامه ويسمعه ليُبرحه ضربًا وسبًا على ما فعله به، لكنه كان يعلم أنه في النهاية لا يقف سوى أمام رسالة مُسجلة منذ عشرات السنين، ليس عليه سوى الاستماع، بل والاذعان إن كان ثمة أوامر جديدة، وإن أسوأ شعور يُمكن أن تشعر به في حياتك هو الخضوع دون أي سبيل للامتعاض أو الاعتراض، بدأ التسجيل:

«مرحبًا مجددًا، إن اشتعل هذا الفيديو من تلقاء نفسه فهذا يعني أنك قد

عثرت على المذكرات وقرأت ما بها ثم توقفت عند جزئية الانتحار وضقت ذرعًا فقمت، بطبيعة فسيولوجية خالصة، بإلقاء ما في يدك، لا يهم كل ذلك، المهم فعلًا أن تعرف بأنني لم أخذلك أو أخذل البشر كما تظن، أنا الآن ميت، لكنني لم أنتحر، ثمة طوق نجاة للخروج من كل هذا، وذلك الطوق مُعلقٌ برقبة جثتي الموجودة في الفندق، إن كنت مُستعدًا حقًا لهذه المغامرة فإن باب الملاذ الأخير سوف يُفتح مرة أخيرة عقب ثلاثين ثانية وسيكون بإمكانك الولوج إلى الفندق مجددًا وبدء مهمتك، وإذ لم تكن مُستعدًا لها فاذهب إلى طاولة العقاقير واخلط أي عقارين ثم تناولهما، وأعدك أن كل شيء سينتهي بعدها، لك الخيار».

ثانية، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، كانت الثواني السريعة تمر وكان أكرم لا يزال مُتسمرًا في مكانه كما هو، هذه أول مرة يوضع في اختبار مدته ثلاثون ثانية فقط، اختبار مصيري بكل ما تعنيه الكلمة من معان، والواقع أن الوقت بدا أسرع كثيرًا مما يجب أن يكون عليه في الظروف العادية.

مضت عشرون ثانية وبقيت عشرة فقط، ولو لم يُهرول الآن باتجاه الباب أو يقف ويتوجه إلى طاولة العقاقير فهذا يعني أن عقله قد توقف عن التفكير تمامًا فيما يحدث له، وهذا منطقي، لكن، وبصورة تبدو تلقائية لا دخل له فيها، ركض أكرم باتجاه باب الملاذ الأخير المفتوح، وما إن ولج إلى نتوء فندق فيرجينيا حتى دوى صوت الإغلاق ليُعلن أن فصلًا جديدًا من اللعبة قد بدأ داخل جنبات الفندق المُريب.

*****

عبر أكرم النتوء الذي لا يزال يتذكر تفاصيله حتى الآن، قال في قرارة نفسه إن فتح باب الملاذ الأخير أمر سهل جدًا، فكل ما عليه أن يرفع خاتم الفتاة في وجه الباب ليلج بداخل الملاذ مرة أخرى، وعلى ما يبدو أن حالة التوتر والقلق التي سيطرت عليها قد أنسته أن الخاتم قد أغلق عليه داخل الملاذ، وأنه لا سبيل للدخول سوى بطريقة أخرى عليه أن يُفكر كثيرًا ويفك طلاسم ألغاز أخرى حتى يصل إليها.

طفت فكرة أخرى مُثيرة على سطح أفكاره في ذات اللحظة التي كان يعبر فيها النتوء داخلًا الفندق، سأل نفسه، ما الذي كان يقصده منير الجنايني بأن كل شيء سوف ينتهي عند تناول خليط اثنين من العقاقير الموجودة على الطاولة، ما الذي سوف ينتهي يا تُرى بالضبط؟

أمعن أكرم التفكير فوجد نفسه يُفكر في أول شيء قد يرنو إليه تعبير مُبهم كهذا، وهو الجحيم، ربما كان الطبيب يقصد أن ثمة فائدة في خلط العقاقير تتمثل في النجاة من المرض الذي يُسيطر على العالم الآن، بمعنى أكثر تفصيلًا، كل شيء سينتهي بالنسبة لأكرم فيما يتعلق بالمرض وسيُصبح آمنًا، لكن أين سيُصبح آمنًا وهو لم يُعطه طريقة للخروج من هذا الفندق، وهو ما سيقود أي شخص بديهيًا للتفكير في التفسير الثاني، وهو أن ما يُفترض أن ينتهي حسبما يدعي الطبيب هو أغلى شيء يمتلكه أكرم في هذه اللحظة ويخوض من أجله كل الحروب الممكنة، حياته.

بقليلٍ من التفكير يُمكننا الملاحظة أن الدكتور منير الجنايني يرى في الموت طريقة مثالية للفرار من الجحيم، فأن تموت بأي صورة من الصورة خيرٌ ألف مرة من أن تخرج للعالم المُوحش وتُصاب بالمرض ثم تُصبح بعدها فريسة للحيوانات المُتعطشة لدماء البشر، لا شك أن الفرار من هذا المصير المحتوم يكمن في الموت بمكان آمن نسبيًا مثل فندق فيرجينيا، والذي لا يُضير أكرم في شيء سوى الخوف الذي يبثه فيه، وبالطبع لن يكون للخوف وجود حالة عدم وجود الشخص الخائف، إذًا، لقد نصح الطبيب أكرم النصيحة الأغلى في حياته، لكنه لم يأخذ بها وفضل إكمال المغامرة، عليه إذًا أن يتحمل تبعات قراره ويواجه ما ينتظره بكل ما يملكه من شجاعة.

كان أكرم لا يزال مُتذكرًا لتفاصيل فندق فيرجينيا الذي تركه قبل سويعات قليلة داخلًا إلى الملاذ الأخير، ولو كنا سنعتبر ذلك الملاذ جزءًا من الفندق فهذا يعني أن أكرم لم يُغادر هذا المكان منذ قرابة الخمسين عامًا، وبالتأكيد هذا أمر إيجابي سيُساعده في البحث، أضف إلى هذا أنه قد جاب كل شبر في الفندق عند بحثه عن مفتاح الملاذ الأخير، ولا يزال

يتذكر أنه لم ير هيكلًا عظميًا لجثة شخص آخر يُمكن الشك في أنها جثة منير الجنايني، مفتاح اللغز الجديد.

بث اللغز في أكرم روح المغامرة من جديد، مهما كان الوضع الذي يمر به الآن ففي النهاية هو يخوض واحدة من الألغاز الذي يعشقها، ولو لم تكن حياته وحياة الكثيرين غيره متوقفة على حل ذلك اللغز لكان من الممكن أن تكون الأمور أفضل من ذلك بكثير، لكن في النهاية لا وقت للتمني والتشكي، هو الآن في فندق فيرجينيا، ومن المُفترض أنه يبحث عن رفات وعظام منير الجنايني، ذلك الشخص الذي لم يعرف أكرم بوجوده في الفندق من الأساس.

كإجراء احترازي بديهي، مر أكرم بالغرف الخمس مرة أخرى، كان يتأكد من أن الهياكل العظمية للمترشحين لا تزال كما هي في موضعها وهيئتها، راودته ومضة شك في أنه ربما يكون هيكل الدكتور منير واحد من الهياكل الأربعة، لكن تفاوت الأحجام والوضعية التي وُضعت بها تؤكد على أن تلك الهياكل تابعة للمترشحين الخمسة، إذًا، انتهى البحث في الدور الثاني من الفندق دون أي جديد.

في الحقيقة، لو كان أكرم سيتذكر شيء الآن ويضرب رأسه ندمًا عليه فهو أنه قد خرج من الملاذ الأخير في العشر ثوان المتبقية على إغلاقه دون أن يخوض تجربة العقاقير أو حتى البحث عن هيكل الدكتور منير في أي ركن من الملاذ، قال في نفسه أنه ربما لهذا السبب تحديدًا كان الوقت المسموح به ثلاثين ثانية فقط، كيلا يستطيع التفكير في شيء كهذا أو تنفيذ ما يُفكر به، لكنه عاد وتذكر أن الأجواء المُحيطة كلها كانت ولا تزال تقول إن الرجل يبغي مساعدته بلا شك.

أخذ الدرج هابطًا للدور الثاني، حيث مكتب الاستعلامات وجثة موظف الفندق الوحيد التي ربما مضت عقود على حالتها هذه، سأل أكرم نفسه مندهشًا عن سبب موت الموظف في هذا المكان، تُرى هل أجرى عليه الدكتور منير الجنايني تجربة النوم وفشلت مثل بقية المترشحين

للوظيفة أم أنه حمل الوباء من الخارج ثم دخل به إلى الفندق وقبل أن يبدأ عمله مات على هيئته تلك، لكن يا تُرى من الذي تكفل بإغلاق الأبواب بكل هذا الإحكام؟ ولماذا أصلًا تم إغلاقها!

في الواقع، بالرغم من شك أكرم وتفكيره بتمعن في كل صغيرة وكبيرة إلا أن حالة الموظف كان يُرثى لها فعلًا، فبالتأكيد الرجل كان ينتظره في البيت أم وأب وزوجة وأولاد، كان ثمة حياة كاملة مُتكاملة بانتظاره، أسرة كاملة ربما لا تعرف إلى أين يخرج في الصباح، ولماذا لم يعد في ذلك اليوم الذي لفظ فيه أنفاسه الأخيرة داخل أسوار الفندق المخيف، كان المنظر باعثًا للحزن والعجز في نفس الوقت.

تذكر انك حملت رواية العملية فرجينيا من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة

باستثناء الهيكل العظمي لموظف الفندق لم يكن هناك أي شيء غريب آخر يُمكن البحث به، فالمرحاض الصغير كان خاويًا ومُصدعًا بالشقوق المكسوة ببيوت العنكبوت مثلما هو الحال مع كل ركن في الفندق، وكذلك الأماكن المُحيطة بمنضدة الانتظار التي قضى عليها أكرم ساعاته الأخيرة قبل النوم، لا شيء غريب بالمرة، ولا مكان يبدو أنه يستحق البحث به، ببساطة شديدة، لا حل للغز هذه المرة، طالما أنه ليس هناك وجود لجثة الدكتور منير الجنايني، إلا إذا كان العثور على مكان مُستتر وسحري في الفندق لغز آخر يسبق لغز مكان الجثة.

*****

(١٢)

كانت هذه المرة هي الأولى التي يجد أكرم نفسه فيها بلا أي عون حقيقي، فلا صوت مذياع ولا فيديو مُسجل في مرآة، كل طرق المساعدة بدت وكأنها قد تبخرت بصورة تلقائية، لا وجود لشيء سوى الصمت والخوف الذي بدأ يعرف مكانه في قلب أكرم من جديد، ولو كُنا مُنصفين وعادلين فيما يتعلق بهذا الشاب المسكين فإن أفضل أمنية يُمكن أن

نتمناها له هي أن يكون كل ما يحدث له مجرد حلم، ولئكمل الأمر لآخره ونجعله يستيقظ الآن، في لحظة محيرة كهذه لا شيء فيها سوى الصمت وبضعة جثث لأشخاص من المفترض أنهم ميتون قبل سنين طويلة، أي جحيم أكبر من ذلك يا ثُرى!

كنتيجة منطقية، سيطر اليأس على أكرم، ووجد نفسه يجلس على الدرج منتكسًا وواضعًا يده على رأسه، أين صوت المذياع وأين المرآة التي سيندلع منها تسجيل الفيديو وأين أي شيء من شأنه المساعدة، لا شيء سوى الخوف كما هو المعتاد، لم تتغير الأمور بمرور الوقت، أهي النهاية؟

أحقًا فعلها به منير الجنايني، منحه الأمل ثم سلبه منه بكل هذه البساطة! شيء ما خاطئ بكل تأكيد، شيء ما سيحدث، لكن عليه أولًا أن يقوم بفعل كي يحصل على ردة الفعل، ومع أنه لم يكن مُلمًا بما يجب عليه فعله، إلا أنه قد وجد نفسه بصورة تلقائية يذهب إلى المنضدة حيث طالبه موظف الفندق بالجلوس قبل النوم، أو بمعنى أدق قبل خمسين عامًا.

جلس أكرم على المنضدة مُنتظرًا الخطوة الثانية التي لا يعرفها بعد، تلاقت عينه بالهيكل العظمي لموظف الفندق الوحيد من جديد، كانت رؤية هذا المنظر كفيلة في كل مرة بأن تُدخل العجز والقهر على أكرم، ما ذنب هذا الرجل كي يموت في مكان موحش كهذا، وكيف مات أصلًا، وهل كان فأر تجارب لمنير الجنايني مثل بقية المترشحين للوظيفة أم أنه قد حظي بموتة هادئة لا ألم فيها أو عبث، وهل...

توقف أكرم فجأة عن التفكير وبدأ في تذكر وجه الموظف الذي بات تذكره أمرًا لازمًا، كيف لم ينتبه لهذا من قبل، فبالرغم من مرور خمسين عام إلا أنه ما زال يحفظ ملامح الوجه والجسم، وإذا كانت نظريته صحيحة، فإن وضع شارب وذقن وشعر أطول قليلًا لوجه الموظف سوف يُعطينا في النهاية وجه مماثل بدرجة كبيرة لوجه الرجل الذي سجل الفيديوهات الموجودة في المرآة، والذي ادعى أنه منير الجنايني!

إذًا وببساطة شديدة، لم يكن المترشحين الخمسة ينتظرون منير الجنايني، بل كان هو من ينتظرهم، كان في استقبالهم، وكانوا جالسين أمامه طوال الوقت، إنه موظف الفندق، وما تسبب في عدم تعرف أكرم عليه منذ الوهلة الأولى هو الخوف الذي سيطر عليه والأحداث المُتلاحقة التي لاحقته، لكن أين الطوق.

هرول أكرم تجاه الهيكل العظمي الموجود على الكرسي في مكتب الاستعلامات، كان مجرد هيكل عادي، لا وجود لطوق نجاة أو أي شيء مميز، لا وجود لشيء أصلًا، مجرد هيكل من العظم، وهنا بدأ أكرم يطرد فرضيته من رأسه، لكن، ما أن اتكئ على الكرسي سهوًا حتى اهتزت النجفة المُثبتة في الأعلى وأسقطت شيئًا ما في رقبة الهيكل تمامًا، وطبعًا لا يحتاج الأمر إلى إعمال عقل كي نفهم أن هذا الشيء الذي سقط هو الغاية وطوق النجاة المنشود.

*****

ما الذي سقط؟

كان الشيء الذي سقط في رقبة الهيكل العظمي عُقد دائري مصنوع من الخيط العادي، المهم بالنسبة لأكرم هو الشيء الذي كان مُعلقًا في ذلك العقد، وهو مفتاح صغير لابد وأنه مفتاح غرفة من الغرف الموجودة في الفندق، لكن، أي غرفة تلك التي تحتاج إلى مفتاح كي يُفتح وقد دخل أكرم كل شبر في ذلك الفندق بما فيه غرفة الملاذ الأخير، وقبل أن تُسيطر حالة الحيرة المتوقعة في مثل هذه الأوقات دوى صوت الإنقاذ، المُمثل في المذياع، من جديد:

«مرحبًا مجددًا، لقد وصلتم إلى هذه المرحلة بعد عناء طويل، من وصل منكم قوي، ومن سيُكمل الطريق أقوى، إن المفتاح الذي بين أيديكم الآن هو مفتاح الجولة الأخيرة من رحلتكم لإنقاذ العالم، اعثروا على المكان الذي يحتاج إلى هذا المفتاح واكتبوا كلمة النهاية في معاناتكم ومعاناة العالم، تذكروا أن هذا أصعب لغز قد تواجهونه في حياتكم، وأن هذا

المفتاح بابه ليس ببعيد عن المكان الآمن الوحيد بالنسبة لكم في هذا الفندق»

تفهم أكرم سريعًا أن عودة الصوت للتحدث معه بلغة الجمع يؤكد على أن الرسائل في مذياع فندق فيرجينيا مُسجلة منذ زمن، على عكس ما حدث في غرفة الملاذ الأخير وتعرف المرآة عليه من بصمة العين على ما يبدو، عمومًا، كان عقل أكرم قد تبلد على الألغاز، بات يجد فيها متعته وغايته، وعلى الرغم من كونه يتمنى بالطبع الخروج من هذا الفندق المخيف إلا أن لعبة الألغاز هذه لا تزال تستهويه وتجتذبه لها.

بدا اللغز الجديد أسهل بناءً على ما طُلب فيه، فكل ما هو مطلوب البحث عن باب مُغلق داخل الفندق وفتحه لينتهي كل شيء، لكن صوت المذياع المُسجل، والذي كان بلا شك للدكتور منير الجنايني، ذكر في رسالته أن هذا أصعب لغز سوف يتعرض له أكرم داخل الفندق، بل في حياته بأكمله، كما منحه بعض الأمل حين قال إن حله سيكتب النهاية لكل شيء، وعلى ذكر الرسالة الصوتية وصاحبها، بدأ أكرم يُفكر في الحالة التي آل عليها الدكتور منير الجنايني.

مجرد هيكل عظمي يجلس على كرسي الموظف بفندق فيرجينيا، هذه هي النهاية، لكن يا تُرى كيف وصل الرجل إلى تلك النهاية المُخيفة، هذا هو السؤال الذي كان يدور في رأس أكرم وكانت أجوبته أغرب من أن يتم تصديقها أو الأخذ بها، فمثلًا حدث أكرم نفسه أن الطبيب المسكين قد انتظر الموت في هذا المكان تحديدًا كي يجعل من مكان موته حلًا لأحد الألغاز التي تقود إلى لغز جديد!

صحيح، فلو لم يُحرك الكرسي لما سقط المفتاح، وما يؤكد ذلك الجنون أن الرجل قد ذكر في رسالته الأخيرة بمرآة الملاذ الأخير الكيفية التي سيسقط بها طوق النجاة كما أطلق عليه، أي أنه، وببساطة شديدة، قد رتب للمكان الذي سيموت فيه قبل موته بكثير، وهذا إن أعطى دلالة لأكرم فهي أن منير الجنايني جاد جدًا فيما يفعله.

التصور الثاني الذي تصوره أكرم عن هذا الأمر أن منير الجنايني عندما اشتد عليه المرض لزم ذلك الكرسي من أجل اكتمال عناصر اللغز، وربما يُمكنكم تخيل الأمر مثلما تخيله أكرم لتعرفوا كم كان صعبًا أن يجلس رجل على كرسي منتظرًا الموت في أي لحظة، يخشى أن يتحرك ويذهب حتى إلى المرحاض كيلا يزوره الموت بعيدًا عن الكرسي فيفسد كل ما فعله من أجل إنقاذ العالم!

وجد أكرم نفسه يسأل سؤالًا منطقيًا ربما لم يخطر بباله من قبل، لماذا يفعل منير الجنايني كل هذا ويضع الألغاز مُصعبًا الأمور في الوقت الذي كان بإمكانه أن يضع كل ما يحتاجه أكرم لإنقاذ العالم بجانب سريره ليجده عند الاستيقاظ وينتهي كل شيء سريعًا، لماذا كل هذه المعاناة بلا فائدة، أم أن هذا هو الانتقام!

هل كان ينتقم؟

سأل أكرم نفسه متعجبًا، لقد أدرك أخيرًا ما الذي يعنيه كل هذا، وبات بإمكانه الآن تفسير تراجع منير الجنايني عن الانتحار في اللحظة الأخيرة، لقد منعه الخير في قلبه وحبه لعائلته من ترك العالم يُعاني الأمرين، لكنه في نفس الوقت لم يستطع كبح جماحه ورغبته في الانتقام من العالم الذي خذله وأذله في صورة الموظف المسئول بوزارة الصحة ومن هم على شاكلته، لقد فعلها بطريقته التي عمل بها دومًا، ألا تخسر شيء، وفي نفس الوقت تجعل الجميع يخسرون بلا خسارة، أي ذكاء هذا، وأي حظ عثر هذا الذي جعل أكرم يتحمل عبء العالم بمفرده!

*****

لا وقت للندم، لقد حدث ما حدث، وعلى أكرم أن يكون ردة فعل للمرة الأخيرة كما وعده صاحب الصوت المُسجل في المذياع، دكتور منير الجنايني، والذي قام حسبما يبدو بأدوار كثيرة في هذا الجحيم الذي يعيش فيه أكرم الآن، أولًا دور موظف الفندق، ثم صاحب الصوت المسجل في المذياع، ثم صاحب الصوت والصورة الموجودين في المرآة، وأخيرًا

صاحب الهيكل العظمي الذي كان طريقًا لحل اللغز الأخير.

الآن يحين الوقت من أجل اللغز الجديد، والذي ما زال وصفه في الرسالة المسجلة يُثير أكرم، لقد قال الصوت مُخاطبًا جميع المتقدمين للوظيفة أنه أصعب لغز سوف يواجهون في حياتهم، كان السؤال الذي يدور في رأس أكرم وقتها دون توقف، ما الصعوبة في العثور على باب كبير! باب يدخل فيه المفتاح الذي يُمسكه بيديه الآن، ما الصعوبة في ذلك؟

بالتأكيد ليس هناك صعوبة في الأمر إذا فكرت فيه في ظاهره، لكن، إذا رتبت الأوراق ترتيبًا منطقيًا، فستدرك أنك تتحدث عن فَندق مكون من دورين، الدور الثاني مكون من خمس غرف بالإضافة إلى النتوء الذي يقود إلى باب الملاذ الأخير، أما الدور الأول الأرضي فهو الذي يقف فيه أكرم الآن ويتضح وضوح الشمس أنه ليس هناك أي غرف فيه، كل ما هنالك فتحة لمرحاض وحوض وجه بالإضافة إلى مكان الاستعلامات الذي تتواجد به جثة منير الجنايني أو موظف الاستعلامات حسبما قام بإيهامهم.

كل هذه الأماكن المذكورة جال بها أكرم مرات ومرات، وإن كان يتذكر جيدًا، فليس هناك شبر آخر يحتوي على باب، كل ما هو موجود وبارز أمامه مجموعة حيطان، ولا يمكننا طبعًا تخيل وجود باب خلف الحائط، هذا إذ لم يكن لغزًا عظيمًا سيضطره إلى البحث خلف كل حائط، لكن، كيف يبحث خلف الحيطان يا تُرى!

كان أكرم لا يعرف أنه لا وجود لأبواب ظاهرية يُمكنه أن يذهب إليها، فقد طاف كل شبر، وبالرغم من أن احتمال وجود باب خلف أحد الحيطان كان احتمالًا ضعيفًا جدًا إلا أن أكرم قد تشبث به ولم يشأ أن يترك أي خيط دون أن يلتقطه، ولهذا بدأ بترتيب الحيطان وترقيمها ثم شرع يأخذ الحائط من أوله لآخره طرقًا، كان يتأكد في كل مرة أن الحائط الذي ينقر عليه بإصبعه مجرد حائط من خرصان وحجارة وإسمنت، وأنه لا وجود لشيء سحري في الأمر حسبما يقول اللغز.

انتهت الحيطان في ساعة على الأرجح، أتقن أكرم البحث إلى أبعد حد، لدرجة أن أصابعه التي كان ينقر بها قد بدأت في الاحمرار والتوجع، هو لم يتوجع، ولم يكن لديه وقت لفعل هذا، ولذلك تغاضى عن ألم أصابعه ووجع بطنه التي بدأت تعوي من الجوع ولم يستجب لهما على الإطلاق.

كان يُدرك أن مفعول المحاليل قد انتهى، وأنه قد حان الوقت للجرعة الجديدة، لكن لا وقت لذلك، كما أنه أخذ يُحفز نفسه بأنها قد اقتربت من حل اللغز، وأن النهاية ستكون هناك كما أخبره صاحب الصوت المُسجل في المذياع، لكن أي نهاية يا تُرى؟ هو لا يعرف ولم يُكلف نفسه عناء التفكير في الأمر.

*****

(١٣)

بدا العجز واضحًا على أكرم الذي أرهق نفسه في بحثٍ طويل دون أي طائل، لو أن أحدًا ما قد رأى طرقه على الحيطان واحمرار الأصابع فربما يُسارع بوصفه بالمجنون، لكنه لو كان يعلم حقًا أن كل هذا كان مجرد محاولة من الفتى المسكين للتشبث بالحياة، أي حياة ممكنة على وجه الأرض، لكان من الأحرى أن يمنحه العذر، لكن، ما الحاجة إلى العذر ولا جديد يحدث أو قديم يُعاد!

لا صوت مذياع أو حتى مرآة قريبة منه يُمكنه أن يخطو نحوها ويقف بين يديها حتى ترضى عنه وتُسمعه ما بداخلها من أسرار، كل شبر في فندق فيرجينيا كان مُعبأ بالأسرار، ولوهلة وجد أكرم نفسه مُتخيلًا ما سيكتبه التاريخ عنه لو تمكن من إنجاز المهمة التي وُكل بها، وأنقذ ذلك العالم من الجحيم الذي يعيش به.

لكن من سيكتب التاريخ؟

سأل أكرم نفسه ذلك السؤال المنطقي، لقد قال الدكتور منير في التسجيلات أن المرض سيقضي على العالم أو ثلاثة أرباعه على الأقل،

أفلام الخيال العلمي الأمريكية سوف تُصبح واقعًا، ولو كان الأمر أكثر سوءً فإنه من المحتمل جدًا أن تكون هناك مساحة ليست بالقليلة من الواقع لأفلام الرعب.

يشعر أكرم أنه عندما سيخرج من هنا فسوف يرى الناس وقد تحولوا إلى كائنات زومبي مُخيفة، وسوف يتساقطون عليه من كل مكان ويمتصون دمه تمامًا كما كان يقرأ ويُشاهد في قصص الرعب الخيالية، سيعيش الرعب إذًا، ولو كان الدكتور منير الجنيني مُحقًا فيما تنبأ به فإن إنقاذ العالم لم تعد مسألة واجب إنساني أو وطني، بل إنقاذ نفسه من الجحيم الذي ينتظره خارج أسوار فيرجينيا، لكن ثمة سؤال منطقي يطرح نفسه، ماذا لو لم يكن منير الجنايني مُحقًا فيما يقوله!

في لحظة إعمال عقل تصور أكرم أن يكون منير الجنايني هذا مجرد مجنون، وأن المسئول بوزارة الصحة لم يكن مُخطئًا أبدًا حين فعل به ما فعل، ماذا لو كان بإمكانه الآن أن يفتح الباب ويخرج فيجد كل شيء يسير بالشكل الطبيعي، ماذا لو أن كل ما زُرع في رأسه لم يكن وليس له أي أساس من الصحة! فاليوم، حسبما يذكر أكرم، هو السابع من شهر يوليو عام ٢٠١٧، ماذا لو كان هذا هو التاريخ الحقيقي؟

وحتى لو كانت تجربة النوم لخمسين عامًا قد نجحت، فهذا لا يعني بالتبعية أن كل ما تنبأ به منير الجنايني بشأن المرض قد حدث أيضًا، لربما كانت مجرد تكهنات محتملة الحدوث فقط، ولربما جاء من تمكن من إنقاذ العالم قبله، منير الجنايني ليس الكون كله بالتأكيد، ثمة من يُبدعون ويُفكرون ويتوقعون، وإن كانت هذه الاحتمالات ممكنة فإن شيئًا واحدًا فقط سوف يؤكدها، وهو عبور ذلك الباب الذي يفصل بين فندق فيرجينيا والشارع!

سيطرت الأفكار الاحتمالية على رأس أكرم، وجد قدمه بصورة تلقائية تتجه صوب الباب الرئيسي للفندق، لا حياة متمثلة في الصوت والحركة، لا وقع أقدام ولا حديث سائرين ولا شجار غريمين، كل الأشياء التي من

الممكن أن يعتاد عليها شخص ما في حياته لا وجود لها، ولو كان ذلك برهانًا على صدق منير الجنايني فيما يتعلق بالقضاء على البشر فإن أكرم لا يزال مُصرًا على تخطي هذا الباب، والذي بالطبع لم يفته تجريب المفتاح الذي بين يديه فيه، لكن المفتاح كان أصغر بكثير من أن يكون مفتاحًا لباب بهذا الحجم، لكن الفكرة كانت لا تزال قائمة، ماذا لو عبر ذلك الباب!

يُفكر أكرم في المصير الذي سيصير إليه حالة تمكنه من كسر الباب وعبوره، هل سيجده المرض فريسة سهلة أم أنه سيتمكن من النجاة؟ هو يعرف يقينًا أنه إن كان ثمة مرض فإن منير الجنايني لم يفعل كل ذلك إلا بعد أن وجد له الدواء، السؤال الآن، ما هو الدواء، وكيف سيتمكن أكرم من علاج الناس به، هل سيُمارس عمل الطبيب! كيف ذلك وهو الذي ترتعش يده عند تناول الدواء، أم أن رغبة والده في أن يُصبح طبيبًا سوف تتحقق أخيرًا، لكن بهذا الشكل الغريب!

كان الشاب المسكين المسجون في فندق فيرجينيا يُفكر فيما سيفعله بعد عبوره لأبواب الفندق، لكنه قد أغفل تمامًا أن الباب الذي يُفكر فيه من المستحيل عبوره إلا بمفتاحه الحقيقي، كان عبارة عن كتلة ضخمة من الحديد الخالص، والغريب أنه لم تكن هناك أي أشرعة للضوء والهواء.

كان الفندق مكتومًا، وما ساعد في ذلك غلق كل النوافذ، وبالطبع إن كان ثمة عدوى ومرض فإن هذا أمر طبيعي جدًا، طبيعي تمامًا مثلما هو الحال مع أكرم الآن، والذي لا يجد سوى تبديد الوقت في التفكير بأمور بعضها يبدو مجنونًا، فإن كان لن يعثر على الباب الخاص بالمفتاح فبالتأكيد لن يجلس واضعًا يده على خديه منتظرًا المصير، والذي للمفارقة لا يعرف ما هو، فقط أخذ يضرب بيديه بقوة على الباب الحديدي منتظرًا حدوث المعجزة، وبالفعل، في لحظة لا تتكرر كثيرًا، حدثت المُعجزة الصغيرة.

*****

- مرحبًا، هل لا يزال أحد هنا على قيد الحياة؟

جاء الصوت الذي حل كالصاعقة على أكرم، كان صوت إنسان بالتأكيد، حتى ولو أعملت عقلك وفكرت في أنه بما أننا في المستقبل البعيد فربما يكون الصوت لإنسان آلي فستجد نفسك متراجعًا بعد سماع سعاله عقب إلقاء سؤاله، الإنسان الآلي لن يسعل بكل تأكيد، صاح أكرم كمن رأى سفينة وهو في عرض البحر:

- أجل أنا هنا، اسمي أكرم، ولا أزال على قيد الحياة، ساعدني في الخروج إذا سمحت.

قال الرجل الذي لم يره أكرم ولا يعرف منه سوى صوته:

- غريب، أمر على هذا المكان منذ أن كنت طفلًا وكان على نفس الحالة، لم أسمع صوتًا أو نفسًا، متى دخلت؟

رأى أكرم في صاحب الصوت ملاذًا جديدًا، لذلك كان يُجيبه بكل ما يملك من إجابات حتى ولو كانت غير منطقية:

- دخلتُه في السابع من يوليو عام ٢٠١٧.

كان أكرم ذكيًا في إجابته، فلم يُرد أن يجزم بتقدم الزمن أو تأخره، بل قال الإجابة الأكثر منطقية على الإطلاق، لكن صاحب الصوت قال يصدمه:

- أيها الشاب، أسألك متى دخلت وأريدك أن تُجيبني وتتحدث معي بجدية كي أساعدك، رجاءً لا تستخف بي فيبدو من صوتك أنني ضعف عمرك تقريبًا.

شعر أكرم أن الأمور ليست في صالحه، وأن ما قاله قد أغضب الرجل الذي يُحدثه، قال مُحتفظًا بهدوئه:

- صدقني أنا هنا منذ هذا التاريخ.

- حسنًا، يبدو أنك تعتبرني مادة للسخرية، والحقيقة أنني ما عدت أصلح لذلك، سأنصرف.

بدأت خطوات الرجل تُدب الأرض وبدا جليًا أنه يبتعد عن الفندق، صرخ

أكرم مستغيثًا:

- أرجوك توقف، أنا لا أتلاعب بك، بإمكاني إثبات وجودي في الفندق منذ خمسين عامًا.

كان صوت أكرم صادقًا، وحتى لو يكن هو نفسه كذلك، فإن رجلًا تجاوز الخمسين من عمره كما يدعي سوف يتمكن بالتأكيد من تحديد معالم الصوت الذي يسمعه، كان صوتًا مُغلفًا بالصدق والخوف، وعلى ما يبدو أن الرجل القابع أمام باب فيرجينيا الخارجي قد قرر إعطاءه فرصة ثانية، عاد وقال:

- أدخل ما تقول في عقلي ثم أخبرني بعد ذلك كيف أساعدك.

شعر أكرم أن فرصته الأخيرة للخروج من الفندق قد تجددت مرة أخرى، فكر وتذكر ثم مرر سؤاله من أسفل الباب:

- هل أنت من سكان هذه المنطقة؟

- أجل، وُلدتُ وعشت فيها، وما علاقة هذا بك؟

استجمع أكرم أنفاسه وكأنه يُعمرّ من أسلحته:

- كانت هناك سيارة مميزة، حمراء من نوع المرسيدس تلبد بالقرب من الفندق عند دخولي، بدت وكأنها مُعتادة على هذا المكان، وأوقن أنها تتبع أحد سكان المنطقة، هل لا تزال تلك السيارة موجودة؟

- لا، لقد انتقلت مع صاحبها الذي غادر المنطقة مذ كُنت في العاشرة.

حل الصمت لبرهة وكأن الرجل يفكر فيما قال أكرم، قال مترددًا:

- ما الذي تريد قوله؟

قال أكرم بلغة مُستنكرة ومُستحثه:

- إن كنت لا أزال شابًا في العشرينيات كما تظن، وإن كان قد مر خمسين عامًا فعلًا على وجودي هنا، فما الذي قد يُدريني بأمر كهذا! كيف عرفت

بوجود السيارة!

تردد الرجل المستتر خلف الباب مرة أخرى، سأل:

- وما الذي يدريني أنا أنك لا تكذب عليّ، وأن هذه المعلومة قد قالها لك أحد الجيران القدامى لتُكمل أسلحتك اللازمة للعبث والاستخفاف بي، أليس من الممكن عقلًا حدوث ذلك الأمر!

فقد أكرم السيطرة على نفسه، زعق بأعلى صوته:

- ومن أنت كي أستخف بك أو أعبث معك، يا رجل أنا لا أعرفك، وقد قادتنا الصدفة فقط لهذا الموقف.

دبدب الرجل على الباب الحديدي بغضب، هتف بصوت أعلى من أكرم:

- قلت لك إنني أفوقك عمرًا، فلا تُفكر حتى مجرد التفكير في الصراخ عليّ، إن فعلت ثانيةً فسأغادر، أنا هنا فقط لأنني أشعر بأنك لا تكذب، وأن ثمة شيء ما خلفك.

التزم أكرم الأدب من جديد وأخفض صوته ثم قال باستعطاف:

- صدقني أنا فعلًا لا أكذب، ولا طاقة لي الآن بفعل مثل هذه الأمور، أنا مُتعب جدًا، وكل ما يعنيني أن أخرج من هنا، ولا أجد مبررًا حتى الآن لعدم مساعدتك لي أو حتى مجرد المحاولة.

- وماذا إذا كنت لصًا! أو مجنونًا مسجونًا لغرض ما في هذا المكان!

صمت أكرم قليلًا وفكر في شيء آخر، قال وكأنه قد تذكر أمرًا مهمًا:

- كم عمرك إذا سمحت؟

- خمسة وخمسون عامًا، وما الذي يعنيك في ذلك؟

- تذكرت أمرًا مهمًا سوف يحسم صدقي، أذكر جيدًا أنني في ذلك اليوم المشؤوم الذي أتيت فيه إلى هنا كان ثمة شجار عند باب الفندق بين طفلين، أحدهما يرتدي فانلة بيضاء طويلة دون بنطال والآخر لا يرتدي

شيئًا، وقد قمت بفض الاشتباك بينهما، لكن أحدهما في خضم الاشتباك قد أدخل إصبعه في عين صديقه بعنف، وبالرغم من أنني قد تركتهما ودخلت الفندق إلا أنني أتيقن من كون ذلك الطفل المسكين قد فقد عينه أو أنها لم تعد كما كانت عليه في السابق مما يجعل زوال الأثر مستحيلًا ويُمكن ملاحظته من الجميع، فهل تذكر تلك الحادثة أو سمعت عنها أم أنني أكذب عليك أيضًا؟

تهلل الرجل ذو الصوت من خلف الباب وصاح مندهشًا:

- مستحيل، لا يعرف بهذا الأمر إلا من حضره، وقد كان فعلًا كما تقول، وما زلت حتى الآن أذكر ذلك الرجل الذي تدخل لفض الشجار بين الطفلين، كان شابًا يافعًا مُهندمًا، أكان أنت؟

بدأ الأمل يعرف طريقه إلى أكرم، لقد تمكن أخيرًا من إقناع الرجل، قال بانتشاء:

- أجل أنا، هل كنت واقفًا كذلك؟

- بل كنت أنا الطفل الذي فقد أحد عينيه.

- هذا يعني أنك صدقتني؟

- لا أملك خيارًا منطقيًا سوى ذلك، لكن بالله عليك أخبرني، أي نوع من المعجزات ذلك الذي حدث معك؟

*****

(١٤)

أخذ أكرم يقص على الرجل صاحب الصوت من خلف الباب كل شيء، بداية من مرسال الوظيفة مرورًا بالنوم والاستيقاظ داخل الفندق انتهاءً بالألغاز التي يعمل على حلها منذ الصباح، كان بوسعه أن يشعر بالحركات التعجبية التي كان يقوم بها الرجل خلال سماعه للقصة الخيالية، انتهى أكرم من الحديث ثم جاء دور الرجل:

- ما سمعته الآن منك معجزة لا يُمكن تصديقها، ولولا أنك الآن قد أثبت صدقك لي، ولولا أنني كذلك متيقن من أن هذا البناء لم تُفتح أبوابه منذ زمن، لتركتك ورحلت، لكن إلى أين يُمكن لأي شخص في هذا العالم الرحيل، صدقني أنت أكثر شخص محظوظ في العالم بما حدث لك، لقد فوتّ أصعب خمسين عامًا يُمكن أن يعيشهم الإنسان منذ أن خلقه الله على الأرض، لقد ضربنا المرض يا...

توقف فجأة ثم سأل:

- بالمناسبة، لم تخبرني بعد عن اسمك؟

- اسمي أكرم، هذا هو الشيء الوحيد الذي أتيقن منه، وأنت؟

- رزق، اسمي رزق.

- ما الذي تقوله يا رزق في رجل لم يُحدث البشر منذ أكثر من خمسين عامًا؟

قهقه رزق:

- أقول إنك محظوظ، فطوال الفترة الماضية لم تكن لغة الحديث هي اللغة السائدة بين البشر.

تعجب أكرم، كان يشعر أن شيئًا ما غير طبيعي قد حدث في هذا العالم، لكنه لم يكن يتوقع الوصول إلى هذا القدر:

- أبلغ الأمر هذا الحد؟

- وأكثر، لقد مررنا بالجحيم في أبهى صوره، ولولا الإيمان في القلوب لأحرقنا بيوتنا على أنفسنا فرارًا مما حدث.

- وما الذي حدث؟

يسأل أكرم بتلهف، هذه المرة لن يُجيبه صوت المذياع أو المُسجل، بل شخص مثله يتنفس الآن خلف باب حديدي ضخم، صحيح أنه لا يرى

وجهه لكنه على الأقل يُدرك أنه موجود، والحقيقة أنه مع مرور الوقت بدأ أكرم ينسى خوفه واللغز المُطالب بحله، فقط كان يشغله أن يعرف ما الذي حدث للعالم طوال الفترة التي غابها عنه، قال رزق ذو الصوت المألوف والوجه المُستتر:

- فجأة وبلا أي مقدمات، بدأ الناس يتساقطون في البيوت والشوارع والميادين، يذهب الرجل إلى عمله في الصباح ويعود إلى البيت في المساء محمولًا على الأكتاف، وكان لا يلبث إلا أن يبيت في قبره تلك الليلة، أما المرأة الحامل فكانت لا تلد إلا جنينًا ميتًا، وكان من النادر جدًا أن يعود الأطفال من مدارسهم على قيد الحياة، لزمنا البيوت وأغلق كل الناس على أنفسهم، قيل لنا في المستشفيات أنه لا أمل أو علاج، بتنا نُدرك جميعًا أن الموت قادم لا محالة، ولك أن تتخيل أن الناس بدأوا يتوقفون عن مراسم الجنائز والعزاء لكثرة الموت، يموت الأب في الصباح والأم في الظهيرة والابن في المساء، ويدفنهما الشخص الذي لا يطلع عليه صباح اليوم التالي.

كان أكرم يسمع حديث رزق باندهاش وحسرة شديدين، بدا يقينًا أن كل ما تنبأ به الدكتور منير الجنايني كان صحيحًا، ولشدة ما سمع كان غير قادر على طرح المزيد من الأسئلة التي كانت تدور هذا الوقت في رأسه، خارت قدماه، ما خلف هذا الباب إذًا لا يختلف عما رآه داخل الفندق، بل هو أشد حسبما يسمع، نادى العم رزق:

- أكرم، بني، هل لا زلت تسمعني؟ أم أن ما قلته قد أخافك من العالم الذي تود الخروج إليه؟ بالمناسبة أنا لم أقل لك شيئًا بعد، كل هذا يُعد الجزء المنطقي في الأحداث، مجرد مرض ضرب الأرض ومن فيها، لكن ما حدث بعد ذلك كان أسوأ بكثير، صدقني أنت لم تسمع بعد سوى ما يُمكن تصديقه.

تذكر انك حملت رواية العملية فرجينيا من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة

ابتلع أكرم ريقه، لا يزال هناك ما هو أسوأ؟ ما الذي يُمكن أن يحدث بخلاف ذلك يا ثُرى، سأل العم رزق:

- هل تريدني أن أكمل ما حدث؟

تأهب أكرم لما هو أسوأ حسب تعبير العم رزق، نطق خائفًا:

- أجل، أخبرني بكل شيء.

من خلف الباب حذر العم رزق أكرم قائلًا:

- إذًا تماسك لأنني سأنقل لك صورة من صور الجحيم، لا تُقاطعني، دع الذكريات تتدفق وأنا أقص لك ما حدث.

*****

كانت ليلة عادية يا أكرم، تناولت العشاء مع زوجتي وأطفالي الثلاثة ثم أوصلتهم إلى فراشهم، كنت حينها في السابعة والعشرين من عمري، مرت أكثر من خمسة وعشرين عامًا على هذه الليلة، لكنني ما زلت أذكر تفاصيلها، فبعد أن أوصلت الجميع للفراش جلست أجهز لعملي في الصباح، لكن، لم يكن هناك صباح!

في الحادية عشرة من مساء تلك الليلة اتصل بي أخي الأصغر، أخبرني أن زوجته قد ماتت، كانت صاعقة بالنسبة لي لأن زوجته مجرد فتاة في الثالثة والعشرين، كان يصغرني في العمر وكان في هذا الوقت لم يمر على زواجه أكثر من ستة أشهر، تماسكت، أنا الأكبر ولا يجب أن أبدو بهذا الضعف.

في طريقي لإيقاظ زوجتي رن الهاتف من جديد، عدت للإجابة فإذا به صديقي يُخبرني بأن زوجة صديق آخر قد لقيت حتفها، كنت أعرفها، وكانت صغيرة أيضًا، بدأت أقلق، لكنني لم أفكر أبدًا أن شيئًا ما يحدث بطريقة غير طبيعية، دائمًا ما كان الموت أمرًا طبيعيًا وواردًا، دائمًا ما يكون كذلك يا أكرم.

المفاجأة الحقيقية كانت في الصباح، ففي القبور، وعند دفني لزوجة أخي، كان ثمة أكثر من ست عشرة جنازة، وكان هذا أكبر عدد من الموتى أراه في حياتي، تحققت من وجود صِلة تجمع بينهم وأدت إلى وفاتهم، لكنني لم أجد أي شيء بخلاف أنهم جيران في شارع واحد، تخيل يا أكرم أن ستة عشر شخصًا يموتون في نفس الشارع وفي نفس الليلة! لكن هذا ليس كل شيء، وإن كانت تلك الحوادث قد أوجعتني فإن الوجع الحقيقي كان ينتظرني في مساء تلك الليلة، حيث رددت له المكالمة لأخبره وأنا أعتصر حزنًا «لقد ماتت زوجتي».

لن أخوض فيما حدث في القبور تلك الليلة وكم كانت الأعداد أكبر من أن تتحملها المقابر، لكنني في نفس الليلة قد تمكنت أخيرًا من الربط بين الموتى برباط آخر، لقد كانوا جميعًا من النساء، وكن حوامل كذلك، إذًا، ثمة شيء غير طبيعي يحدث للنساء الحوامل في هذه المنطقة، أتلوث الماء أم الهواء؟

كنت مخطئًا في الأمر، وهذا ما صححته لي جرائد وأخبار اليوم التالي، حيث إن النساء الحوامل في كل مكان بمصر قد تعرضن للموت، وسقط في يومين فقط أكثر من ثمانية عشر ألف امرأة، كان الأمر أصعب من أن تتحمله العقول، ولا أتحدث عن عقول الأزواج التي طارت لتساقط زواجاتهن المفاجئ، لكنني أتحدث عن قول المسئولين والمعنيين بالأمر، لقد كان السؤال الوحيد المطروح دون أي إجابة هو «ما الذي يحدث هنا؟».

أغلق الجميع على نسائه البيوت، لم يمنعهم فعل ذلك من الموت، فلكي تنجو كما تقول الصحف ووكالات الأنباء ومحطات التلفاز يجب عليك أن تتجنب الهواء، وتجنب الهواء يعني الموت بالطبع، المشكلة الحقيقية أننا ظننا أن ما يحدث سيكون مُركزًا على النساء الحوامل فقط، لكن بعد أسابيع قليلة بدأ كل شيء يتغير.

مع الوقت تساقطت الفتيات العاديات والأطفال من الذكور والإناث على

حدٍ سواء ثم بعد ذلك بدأ كبار السن يتساقطون وتبعهم الشباب، أدرك الجميع أن المسألة كانت تتعلق فقط بالوقت، أصحاب جهاز المناعة الأضعف سيسقطون في البداية، لكن في النهاية لن يبقى أحد.

كنا في ذلك العام مائة مليون مواطن، وأذكر أننا قد أصبحنا في شهر واحد نصف العدد تقريبًا، وجاءتنا الأنباء في كل مكان في العالم أن البشر يتساقطون كالذباب، وأن أكثر من ثلث الكرة الأرضية قد تعرض للفناء، ولك أن تتخيل يا أكرم أننا في بعض الأحيان كنت نفتح البيوت المُغلقة منذ زمن فنجد عائلات كاملة مكومة وميتة على موائد الطعام.

كان كل شيء يوحي بأن الكون آخذ في النفاذ، هذه هي القيامة إذًا، وبالرغم من أن تلك الأهوال لم تُذكر في علامات الساعة إلا أننا اعتبرناها منها، ليس هناك شيء بالتأكيد أسوأ من ذلك، ولهذا لم يكن أمامنا سوى انتظار شروق الشمس من المغرب كي ينتهي كل شيء بصورةٍ رسمية.

ربما لا تصدقني عندما أقول لك أن كل إنسان على قيد الحياة كان يتمنى الموت ويتعجل النهاية بكل صورة ممكنة، خاصةً مع انتشار الشائعات باقتراب الحيوانات المفترسة من مناطق البشر، لم تكن شائعات، بل حقائق زاهقة، كانوا يتحينون الفرصة وينتظرونها منذ زمن، وقد جاءتهم على طبقٍ من فضة، ولا أدري هل هاجمونا من تلقاء أنفسهم أم أن الوباء الذي انتشر قد بث فيهم هذا الأمر.

في النهاية كانت النتيجة واحدة، لا أحد كان ينجو من سطوة الحيوانات واجتياحهم للأخضر واليابس، حتى الأسلحة قد نفذت ولم يعد هناك من يتمكن من استخدام ما تبقى منها، مات أكثر من ثلاثة أرباع العالم في عامٍ واحد، وكان الربع الأخير يستعد للحاق بمن سبقوه وإعلان نهاية عصر الإنسانية على الأرض، وفي هذه الأثناء حدثت المعجزة الأهم على الإطلاق بعد معجزات الأنبياء، تجدد الأمل.

*****

(١٥)

كان أكرم يستمع إلى حديث العم رزق خلف الباب وهو يعتصر من الألم، لقد مات كل من يعرفهم بالتأكيد، ولا يمكن أبدًا أن يكون الحظ السيئ الذي يلازمه طوال الوقت قد ترك له أحد ذويه ضمن الربع المتبقي من الكرة الأرضية، والحقيقة أن التفكير في كلام العم رزق وتذكر تحذيرات وقلق الدكتور منير الجناينى قبل خمسين عامًا كانا كفيلين باستحضار صورة شخص واحد في ذهن أكرم وتمني قتله، إنها صورة الموظف المسئول بوزارة الصحة!

لقد استهان موظف وزارة الصحة بالأمر في بدايته، كان بوسع هذا المتخاذل أن ينقذ ملايين البشر، لكنه لم يفعل، وإنما أخذ كلام الرجل الوحيد القادر على إنقاذ العالم بكل سفهٍ واستهتار، ولكم تمنى أكرم في تلك اللحظة أن يكون ذلك الموظف من الربع الذي نجا من المرض كي يخرج من ذلك الفندق في يوم من الأيام ويقتله بنفسه!

- إنها القيامة!

قال أكرم يُمرر كلماته للعم رزق من الفتحة الصغيرة الموجودة تحت الباب، رد العم رزق:

- صدقت، كل شيء قام علينا فجأة يا بني، كل الذنوب التي اقترفناها في يوم من الأيام تجسدت في هذا المرض ثم جاءت تنتقم، وددت لو كان بإمكاني أن أقص عليك الصورة الكاملة لذلك الهول، صدقني ما أقوله لك لا يُمثل واحد بالمائة مما حدث، كان عصر المعجزات في أبهى صوره، وأظن أنه لم يحدث أبدًا أن تمنى البشر بأكملهم الموت في آن واحد، لكن هذا ما جرى بالفعل، حتى أمريكا، والتي كانت آية في التقدم بهذا الوقت، وقفت عاجزة أمام المرض، الجميع رفع الراية البيضاء وأعلن الاستسلام.

لمعت في رأس أكرم فكرة عابرة، تمسك بها وسأل:

- معذرة، ولكني أعجز عن الربط بين حديثك ووقوفك خلف هذا الباب

الآن، أعني كيف نجوت؟

- قلت لك قد حدثت المعجزة.

- وقلت لي من قبل أنه لم يكن هناك شيء بإمكانه إيقاف ذلك الزحف!

بدا العم رزقه وكأن صبره قد نفذ من مماطلة أكرم المُستفزة، قال متماسكًا:

- هذه عادة المعجزات، تفعل ما لا يُمكن فعله، أو على الأقل ما لا يُتوقع فعله.

تطفل أكرم من جديد:

- وكيف كانت المعجزة؟

تمنى العم رزق على أكرم، قال مُحذرًا:

- امنحني صمتك الآن ولا تُقاطعني، استعد لسماع ما هو أكثر إدهاشًا من النصف الأول من الحكاية.

قرب أكرم أذنه أكثر من الفتحة تحت الباب، لم تكن كافية للرؤية، لكنها لم تستطع حجب صوت العم رزق الذي بدأ يشدو من جديد ببقية الأحداث التي لا تقل غرابة عن سابقتها.

*****

أدركنا أن الموت قادم لا محالة، سيقتلنا المرض سريعًا بلا أدنى شك، فكان الرجل منا يُقبل زوجته ويحتضنها، هذا إن كانت على قيد الحياة، ويُدرك أنها المرة الأخيرة، يُهدهد أطفاله ويضع في حسبانه أنها ربما تكون المرة الأخيرة أيضًا، اختفت حوادث السرقة والقتل والاغتصاب، فُتحت السجون وعاد المساجين إلى بيوتهم للموت مع ذويهم، مهما تخيلت يا بُني فليس هناك جريمة أكبر من ذلك المرض.

تنازلت أغلب حكومات العالم عن الحكم وعاد أفرادها لقضاء اللحظات

الأخيرة من الحياة مع أطفالهم وزوجاتهم، حتى أصحاب المحلات التجارية فقد أخذوا ما يكفيهم لأيامهم القليلة المقبلة وتركوا ما تبقى مكانه ليأخذه الناس، كانوا محقين طبعًا، فما الذي سيفعلونه بالأموال التي سيحصدونها من البيع والشراء؟ هل ستوقف المرض؟ الجميع كان يعرف أنه لا شيء بإمكانه إيقاف المرض.

ماتت طفلتي الأولى ولحقت بأمها، لم يكن ثمة وقت للحزن لدي، حوطت بذراعي على ما تبقى ورحت أحقق لهم كل ما يطلبونه من متع، تمامًا كما كان يحصل في كل مكان في العالم، لقد بدأ الجميع في لملمة كل ما يمكن لملمته من هذه الحياة، ولك أن تتخيل يا أكرم أن المكان الوحيد الذي لم يكن بمقدورك أن تجد شبرًا واحدًا فارغًا فيه هو المسجد!

أدرك الناس أخيرًا أن الحياة هي من كانت تُلهيهم عن الآخرة، كانوا يبحثون عن النعيم فيها وينسون نعيم الحياة الأخرى، وإن كان الموت قادمًا لا محالة فمن المنطقي فعل أي شيء يُقرب أكثر من الجنة، والحقيقة أن الفقراء كانوا الأكثر استغلالًا لهذا الأمر، لقد قالوا في أنفسهم أنه من غير العادل أبدًا أن يضيع عليهم نعيم الدنيا والآخرة معًا، والأكثر إدهاشًا بالنسبة لي كان دخول أفواج كثيرة من العالم في الإسلام، كانت تأتينا الأخبار فأضرب كفًا على كف، هل حقًا كانوا يعلمون الحق وينتظرون الموت كي يتبعوه!

تغيرت أحوال الدنيا، أصبح الناس أكثر تجنبًا للسيئات، بات لا يشغلهم كيد المكائد لغيرهم، كل ما يشغلهم كان أنفسهم فقط، ولا حتى ذويهم كانوا يعنون لهم شيئًا، تمامًا كما هو متوقع حدوثه يوم الحساب، وطبعًا هذا لا يمنع من أنهم كانوا يتقاتلون على ما تبقى في الأرض من طعام، فهذه الكمية وحدها هي من تضمن لهم الحياة، ولا أمل في أن يزرع شخص آخر زرعة، إذًا، إذ لم نمت من المرض فسوف نموت من الجوع لنفاذ الطعام، كان هذا ظننا.

المعجزة الحقيقية التي فقدنا الأمل في انتظارها جاءت عندما أعلن

طبيب هندي أن بإمكانه إيقاف المرض، كان الأمر جنونيًا، أجزم الناس أنه مجرد أمل يتم منحه لهم، سيسمعون به حتى الموت، مجرد محاولة من شخص ما ليقول إنه فكر في العالم وإنقاذه، إن كان ثمة من سيعيش ويكتب التاريخ فإن ذلك الطبيب كان يؤشر له بإصبعه ليذكره فيه، هذا ما توقعناه، وهذا ما اتضح خلافه عندما بدأت أخبار الهند تأتينا من كل حدبٍ وصوب، وإن كنت مُحقًا يا أكرم فيما أخبرتني به عن منير الجنايني هذا فإن ذلك الرجل أيضًا قد راوده نفس الخاطر وتمكن من إيجاد الداء للدواء.

*****

- لكنني قد أخبرتك أنني لا أعرف ما الذي فعله منير الجنايني بعد أن قرر الانتحار!

قال أكرم بعد سماع حديث العم رزق، أجابه الأخير:

- أقول لك أن الطبيب الهندي قد وجد الدواء، ولا أعرف هل هو نفس الدواء الذي وجده طبيبك أم لا، ما أنا على يقين منه أن كليهما قد حاول وبذل قصارى جهده من أجل إنقاذ العالم.

- وما الدواء الذي تواصل إليه الطبيب الهندي؟

داعب العم رزق ذكاء أكرم، سأله بتحدٍ:

- خمن ماذا! لقد كان ذلك الدواء آخر شيء يُمكن التفكير به.

لم يُعر أكرم الأمر اهتمامًا، قال كمن أزال لتوه جبل من على صدره:

- مهما كان ففي النهاية أنتم قد نجوتم، لا حاجة لوجودي هنا إذًا!

قهقه العم رزق بحسرة:

- هذا ما ظنناه كذلك، لكنك مثلي، لم تسمع الأمر حتى نهايته، أجل بعضنا لا يزال على قيد الحياة، لكننا أيضًا لا نعرف متى سينشط المرض، نعرف أنه موجود ونعرف أن ذلك الطبيب قد فعل شيئًا ما لإيقافه، لكن زحفه لن

يتوقف كثيرًا، سيعود بعد أن ينفذ الدواء الذي أوجده الطبيب.

- وما الدواء الذي أوجده الطبيب؟ وكيف ينفذ!

سأل أكرم بقلق، عادت الأمور إلى نقطة الصفر مرة أخرى وأصبح وجوده في فندق فيرجينيا ذو قيمة، قال رزق:

- حسنًا أعرني صمتك مرة أخرى ودعني أكمل لك سلسلة المعجزات.

*****

(١٦)

منحنا الطبيب الأمل، وكأن الله أراد مكافئتنا على الصبر، صبرنا على بلائه ورضينا بقضائه، تأهبنا للموت، وأظن أن الموت كذلك كان مُتأهبًا جدًا للقائنا، لكن الأمور، كما تعرف، لا تسير حسبما تتوقع، لا شيء في الحياة قادر على مفاجأتك مثلما تفعل الحياة نفسها، لو قُدر لي أن أختار أغرب سيناريست في الحياة فسأختار القدر بلا شك.

عمومًا، زعم الطبيب الهندي أنه قد توصل إلى الدواء، وعندما أعلن في مؤتمر صحفي أن العلاج يكمن في دم الإنسان كدتُ أجن من عبقرية الحياة وقدرتها المُذهلة على خلق الصراع في الأرض، تخيل يا بني أن الدواء يكمن في أن تذهب إلى شخص ما، ربما يكون صديقك أو قريبك، ثم تمتص دمه!

أنا أعرف منذ زمن أن العالم مجنون، وأن الإنسان مجنون، وأن كل شيء حولنا يشع جنونًا، لكني لم أتوقع أبدًا أن يصل الجنون أن ينام الزوجين بجوار بعضهما ثم يستيقظ أحدهما ولا يستيقظ الآخر، ولماذا؟ فقط لأن ثمة من ارتكب حماقة متمثلة في مص الدم حتى النقطة الأخيرة، ومع أن الناس حقًا كانت لا تعرف أي شيء إلا أنهم كانوا يسيحون في الأرض كالمجانين، وطبعًا لا يُمكنني وصف القدر الذي أصبحت عليه حوادث خطف الأطفال وسرقة دمهم.

عادت النقود للساحة من جديد، فبعد أن فقد الناس الأمل في الأموال وقرروا الزهد حتى انقضاء ما بقي لهم في الحياة تكالبوا عليها من جديد، فرغت المساجد، وأصبحت الدنيا أكثر صخبًا مما كانت عليه في السابق، وكان رجال الأعمال، الذين لم يتخلصوا من أموالهم بعد، يقومون بشراء أكبر قدر من الدماء بأي سعر، يشربونه ولا يعرفون حقًا حقيقة الأمور، وهل فعلًا الدم علاج لهم؟ وكيف إذًا الطريقة التي يُستخدم بها؟ لا أحد كان يعرف أي شيء.

كثرت حوادث مص الدماء، أصبح هناك جنون يفوق جنون المرض، ولولا أن الطبيب الهندي قد خرج وأوضح الأمر لمصصنا دماءنا طمعًا في النجاة، وأنا الذي أعاني من رهاب الدم كنت على استعداد تام بأن أمتص دم أي شخص بخلاف أطفالي، كنت أريد الحياة من أجلهم، مات الجميع ولم يتبق لي سواهم، لكن كما أخبرتك، لقد فهمنا الأمور بشكل خاطئ، فكل ما هنالك أن ثمة فصيلة دم معينة بإمكانها أن تُعالج الداء من خلال وضع ال...

*****

انقطع صوت العم رزق فجأة، بدا وكأنه قد تبخر من مكانه، لم يعد أكرم يسمع صوته ولا حركاته ولا حتى أنفاسه، لم يكن هناك أي شيء يُمكن سماعه، وكأن شيئًا ما قد حل من السماء واختطفه ورحل، حتى خطوات الرحيل لم يسمعها أكرم منه، وهذا ما أثار دهشته وقلقه في نفسه الوقت.

في تلك اللحظة أيضًا وجد نفسه يربط بين أمرين عجيبين برابط أعجب، فعندما كان الطبيب على وشك إخباره بكل شيء من خلال المذكرات نفذت الأوراق فجأة عند فصل الانتحار ولم يعرف أي شيء بعدها، لا يعرف هل انتحر أم أكمل! وما الذي أكمله بالضبط، والآن يأتي العم رزق ويختفي في اللحظة التي من المفترض أن يُخبره فيها بكل شيء يتعلق بالمرض الذي ضرب الأرض، ما الذي حدث يا تُرى!

أيكون قد مات؟

يسأل أكرم نفسه متعجبًا ويضع آمالًا كبيرًا على هذا الاحتمال، يُدرك أنه التفسير المنطقي الوحيد لذلك الانقطاع المفاجئ، لكنه يعود ليُصارح نفسه بأنه حتى سقوط الميت سوف يُعطيه صوت ارتطام بالأرض لا يُمكن تجاهله، إذًا ما الذي حدث؟ وما الذي لم يحدث له بعد ويُمكن ألا يُعتبر من عجائب الدنيا السبع! ما كل هذا الكم من الحظ السيئ!

يعود أكرم إلى حيرته المعهودة من جديد، لا شيء ليفعله، ولا طريق يسلكه ويكتمل لنهايته، حتى الرفيق الوحيد له في هذا الجحيم تبخر فجأة وبلا أي مُقدمات، وكأن كل شيء يُخبره بوضوح أن ثمة دين كبير من العذاب عليه تسديده، لا يعرف كم مضى وكم تبقى من هذا الدين، ولا يعرف أصلًا متى استدان وأخطأ، لكنه يعرف أن ما يحدث لا يمكن أن يكون منطقيًا وطبيعيًا على الإطلاق.

لقد قرأ من قبل الكثير من الروايات الخيالية، ولم يجد في أحدها أن رجلًا نام خمسين عامًا ثم استيقظ ليجد نفسه مُطالبًا بإنقاذ العالم، في الوقت الذي لا يُمكنه فيه إنقاذ نفسه من الأساس! بحق الإله، ما كل هذا الجحيم!

ثمة أمل بالتأكيد...

يتلفت أكرم حوله بجنون باحثًا عن أي شيء يُمكن أن يستمد منه جرعة الأمل التي قد يحتاج لها، يُمسك بالمفتاح ويكتفي بالتحديق فيه، وكأنه يسأله، يستجديه أن ينطق ويُخبره أي باب هذا الذي يُمكن أن يفتحه، أين هو؟ كيف يصل إليه، ما الثمن الذي يُريده ليقفز من يديه الآن ويزحف باتجاه الباب المنشود!

ينظر أكرم وينظر، لا شيء بيديه سوى قطعة ضعيفة من الحديد كان من الممكن أن تكون أي شيء آخر بخلاف المفتاح، يشعر بالضيق مُجددًا، يُطوح المفتاح بأقوى ما تملك يده فيطير ثم يسقط ويتدحرج أمامه ساقط على الأرض، يتدحرج حتى يُصدر الصوت الذي كان ينتظره الفتى منذ زمن، صوت الارتطام!

كيف فاته ذلك الأمر؟

انتفض أكرم صائحًا «وجدتها»، انفرط من على المنضدة وألقى بنفسه على الأرضية واضعًا أذنه بجانب إصبعه الأوسط باليد اليمنى، حيث الطرق مع الزحف، لقد عرف السر أخيرًا وأدرك من صوت المفتاح الذي تدحرج أن الأبواب لا يُشترط أن تكون على الحيطان، بل يُمكن أن تكن في الأرض كذلك!

كم من رواية قرأها وكم من فيلم شاهده كانت السراديب فيهما هي مفاتيح الأسرار والطريق لحل الألغاز المستحيلة، رجل بعقل الدكتور منير بالتأكيد لم يكن ليمنحه سر إنقاذ العالم بهذه السهولة، كان عليه أن يُفكر ويُفكر حتى يفهم أن الأمور لا تبدو أبدًا كما تبدو، كل الألغاز التي مر بها خلال وجوده في فندق فيرجينيا أكدت له تلك الحقيقة، لا شيء يبدو كما يبدو، ولا يوجد ما يُمكن أن يؤخذ بظاهره أبدًا.

سحب المفتاح من الأرض خلال زحفه، كان يعرف أنه منوط بنقر أرضية الدور الأرضي فقط، فهو منطقيًا الدور الوحيد الذي يحتمل وجود السراديب والأنفاق، وحتى وإن كان قد اعتاد طوال مكوثه هنا على حدوث الأشياء غير المنطقية فإن وجود سرداب في الدور الثاني لن يكون شيئًا مستحيلًا إلا في حالة استخدام السحر، ولا بد أن رجلًا بعقل منير الجنايني لن يلجأ إلى السحر من أجل حل ألغازه، المسألة عقلية بحتة، هكذا أقنع أكرم نفسه وهكذا استمر في الطرق والبحث.

نفدت الأرضية، أو هكذا يبدو، فلم يعد هناك أي مكانٍ خاو إلا وطرقه بإصبعه باحثًا عن نقرة مختلفة توحي بأنها لم تُنقر على أرض، وإنما على باب حل اللغز الذي يحاول جاهدًا إنهاءه والوصول إلى غرفة الأجوبة حسبما صور له منير الجنايني في تسجيله الأخير، لكن لا شيء ظهر بالمرة!

كانت الأرضية طبيعية مائة بالمائة، كانت عبارة عن إسمنت وبلاط عادي، ولا بد أن الطبيب لن يصل جنونه إلى الحد الذي يجعله يضع أكرم في

موقف المطالب بالحفر في الأرض، بالتأكيد لن يفعل الشخص الذي يُريد إنقاذ العالم تلك الفعلة ويُزيد من صعوبة الوضع، لذلك كان على أكرم أن يلتقط أنفاسه ويعود ليفكر من جديد.

أتعب النقر أكرم، ليس سهلًا أن تنقر عدة أمتار من الإسمنت والبلاط بإصبعك المكشوف، وهنا نحن لا نتحدث عن مجرد احمرار أو ألم، وإنما بدأ الدم يعرف طريقه إلى الفتى المسكين، لم يكن دمًا غزيرًا مُتدفقًا، لكنه كان بارزًا وواضحًا بالنسبة لأكرم الذي لم يُعره أي جزء من اهتمامه، أي دم وأي ألم وأي إصبع!

كان كل تفكيره مُنصب على إنقاذ نفسه والعالم، وهذا بالتأكيد أمر لا يقبل مشاركة اهتمامه من أشياء قد تبدو تافهة في هذا الوقت كالألم والدم، عمومًا، جلس أكرم أخيرًا على المنضدة، ذلك المكان الذي استقبله للمرة أولى وقضى به بضع ساعات قبل حدوث المعجزة، بتفكيرٍ غير مشوش لن يكون من الصعب عليك أن تُدرك ما أدركه أكرم فجأة بعد جلوسه بلحظات، إن تلك المنضدة بحق هي المكان الآمن الوحيد الذي احتك به خلال جولته في هذا الفندق!

استجمع أكرم قوته وزحزح المنضدة أمتارًا قليلة باتجاهٍ معاكس عن اتجاه وقوفه، رفع السجادة السميكة ثم نقر بأصبعه، ثمة صوت غريب كما كان يتوقع، الأغرب أنه عندما نقر بإصبعه بدأت طبقة من الإسمنت الخفيف تتكسر بصورة تلقائية، نقرة في أخرى حتى أخذ الباب الخشبي الكبير في الظهور، كما توقع، لا يوجد قانون في العالم يقول إن الأبواب يجب أن تكون جزءًا من الحيطان فقط، يُمكن بسهولة أن تكون جزءًا من الأرض، وهذا ما يحدث أمامه بالفعل، لكن بالتأكيد لا وقت الآن للتأمل أو الإعجاب بذكاء الدكتور منير الجنايني في حياكة الألغاز.

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك

وضع أكرم المفتاح في المكان المُخصص له بالباب، لف يده بالمفتاح في

اتجاه اليمين، كان يسمع صوت الحواجز وهي تتكسر والمفتاح وهو يعبر في طريقه دون أي عائق أو حائل، كان يسمع كذلك صوت زغزغة الباب وصريره، بيد أنه لم يكن يُفكر في كل هذا، ما يعنيه فقط هو ما يُمكن أن يتواجد خلف هذا الباب.

لوهلة شعر أكرم بالخوف، خوف أكبر من ذلك الذي شعر به طوال رحلته في فندق فيرجينيا المخيف، هكذا هي الأقدار، عودته ألا ينتظر منها أي خير، والآن، وهو أمام بابٍ مُغلق مُبهم، فإنه لا يأمن أبدًا مما يتواجد خلف هذا الباب الغامض، لكنه يعرف جيدًا أنه لم يعد هناك أي وقت للتراجع، سيعبر مهما كلفه الأمر ومهما كان الشيء الذي ينتظره.

فتح الباب ثم وضع قدمه اليمنى على أول درجة من الدرجات التي كانت مُتراصة أمامه في الظلام الموحش الهادئ، لم يكن يرى آخرًا لها، لكنه كان يشعر بوجود الكثير منها، ولأول مرة منذ زمن بعيد وجد نفسه يتمتم باسم الله ويطلب عونه فيما هو مُقدم عليه، وكأن الله يحضر في القلوب بصورة طبيعية مع كل وهلة خوف.

مع أول ثلاث خطوات لأكرم على الدرج كان الباب المفتوح للتو يتهاوى ويُغلق من تلقاء نفسه، كان المنظر مُخيفًا بحق، وكان صوت الإغلاق وصرير الباب في تلك اللحظة مدعاة للرعب والقلق، وإذا كنت واقفًا الآن بجوار أكرم فسوف يكون بإمكانك أن تسمع دقات قلب الرجل الأكثر ارتعادًا في العالم.

*****

(١٧)

أكمل أكرم الدرجات كالطفل الذي يتعلم المشي للمرة الأولى، كان يسير ببطء، يتوقع أن تأتي درجة من الدرجات وينزلق بها حتى يجد نفسه في قاع الجحيم، هذا ما اعتاد على مشاهدته في الأفلام وقراءته في الروايات الخيالية، لكنه قد تصارح مع نفسه قبل قليل بأن ما يحدث الآن لا يُمكن

أن يتخيله أي كاتب باستثناء القدر.

ما زال مُصرًا على رأيه بأن القدر يُعد كاتب السيناريو الأفضل في العالم، ولقد كتب له بالفعل سيناريو خاض جزءًا كبيرًا منه، ولا يعرف بعد متى تُكتب كلمة النهاية به، وما الذي يُمكن أن يكون قد وصل إليه في ذلك الوقت، هو فقط يعرف أن الأمور لا تسير بخير، وأكبر دليل على ذلك هو الظلام الدامس الذي وجد نفسه فيه مع انتهاء درجات السلام التنازلي، النقطة الإيجابية الوحيدة أن درجات السلم قد انتهت دون أن يجد نفسه يتهاوى في الجحيم أو أمام وحش ضخم أو هيكل عظمي، وإن كان هذا أمر لا يمكن التيقن منه بعد، فلا يزال كل شيء مظلمًا كما هو. «لو كنت أمتلك مصباحًا»

حدث أكرم نفسه مُتندمًا ولائمًا، ولو أن نفسه كانت قادرة على تبادل الحديث معه لعنفته تعنيفًا شديدًا بسبب تلك الأمنية السخيفة، فأغلب الأشياء الصحيحة نتمناها في الوقت الخاطئ تمامًا، مثلًا قبل دقائق قليلة من الآن كان كل ما يتمناه أكرم أن يعثر على الباب، لم يكن ثمة ظلام، ولم تكن هناك أي نية لوجود المصباح أو معرفة بإمكانية الحاجة إليه، هكذا إذًا تسير الأمور، الشيء الصحيح لا يكون ملكًا لك في الوقت الصحيح.

كان أكرم لا يزال مُقتنعًا بأنه لو كان يمتلك مصباحًا الآن لكان الأمر قد صار معه بطريقة أفضل بكثير، على الأقل لن يُضطر إلى أن يتسمر في مكانه بانتظار أي جديد، يخشى أن يتحرك في ذلك الظلام فيجد نفسه وقد تهاوى في بئر مظلم سحيق، المسكين، لا تزال فكرة الأفلام والروايات الخيالية، وما يحدث بهما، مسيطرة عليه ولا تُفارق مخيلته طوال فترة تواجده في فندق فيرجينيا الغريب، لكن السؤال الآن، هل هو في فندق فيرجينيا حقًا!

لا، إنه نفق على ما يبدو، وإذا كنا سنعتبر أن غرفة الملاذ الأخير ليست تابعة للفندق فبالتالي يمكننا اعتبار النفق كذلك غير تابع له، إذًا، وببساطة شديدة، هو الآن في مكان لا يعرف عنه شيئًا، وبالمناسبة، هذا السبب يُعد

أحد أبرز الأسباب تسبيبًا للرعب لأي شخص، فما بالكم بشخص قد مر بما مر به أكرم المسكين، شخص نام خمسين عامًا ثم استيقظ ليجد نفسه مُطالبًا بإنقاذ العالم!

لم يدم تسمر أكرم في مكانه كثيرًا، خارت قدماه، ومهما استنفذ من الوقت ففي النهاية سيُجبره شيء ما على التحرك، أصلًا لم يثبت من قبل أن رجلًا قد تحمل الوقوف بمكانه كل هذا الوقت الطويل الذي وقفه أكرم، لكننا لا نتحدث الآن عن موسوعة جينيس وأرقام قياسية يجب كسرها حتى يجد الفتى سببًا في وقوفه، إننا نتحدث عن عالم هلك وسيهلك أكثر، عن خوف مُزلزل ومُسيطر، عن شاب لم يتجاوز الثلاثين ورأى أهوالًا لم ترها أمم كاملة، كل هذا كان دافعًا لأن يفعل الأمر الذي قام بتأجيله طويلًا، لقد تحرك من مكانه!

بعد أن خطى خطوة واحدة للأمام انتابته الحيرة المفرطة من جديد، الآن هو مُطالب باختيار المسلك المناسب لعبوره، هل سيسير باتجاه اليمين أم اليسار أم أمامه مباشرةً؟ صحيح أن كل الطرق تؤدي إلى المجهول المخيف، وأن كل المخاطر تتساوى في هذه اللحظة، لكن بالتأكيد الأمر سيكون أفضل بكثير إذا اختار وجهته على أسس منطقية، أسس يُمكن أن يواجه بها إخفاقه المزمع حدوثه.

على الأقل سيقول لنفسه أنه قد حاول وفكر ثم اختار سلوك الجانب الأيسر لكذا وكذا، لكن حتى المبررات لم تكن موجودة كي يحدث ذلك الأمر فيما بعد، ولذلك وجد أكرم نفسه يُحكم الوازع الديني ويسلك الاتجاه الأيمن، يعرف أن الدين والمتدينين لم يتحدثوا على هذا الاتجاه وأصحابه إلا بكل خير، يقولون إن الفوز لأصحابه دائمًا، ولأن أكرم يُريد الفوز حقًا، كان من البديهي أن يسلكه، لكن، وكما هي العادة، لا تترك المفاجآت التعيسة الصادمة رفيقها أكرم.

مع أول خطوة لليمين وجد أكرم نفسه مصطدمًا بحائط لا يعرف شكله ولا ارتفاعه، الشيء الوحيد الذي يعرفه أنه كان جسمًا صلبًا يحول دون

عبور أي شخص مهما كانت هويته، الحيطان جمادات، ولا تعرف من هذا أو لماذا يجب عليها أن تحترمه وتدعه يعبرها، عاد الخطوة للخلف ثم قرر بداهةً أن يجعلها باتجاه اليسار، لكن نفس الحائط كان بانتظاره.

بعد تلك المحاولات الفاشلة بات من المنطقي أن طريق العبور الصحيح هو الاتجاه الأمامي المباشر، والواقع أنه لأمر جيد أن تعرف أنه ثمة جهة واحدة فقط هي التي يجب أن تعبر منها، وأنك لم تفوت شيئًا فيما تركته خلفك، لكن الكارثة بحق ألا يكون لك أي جهة تتجه إليها، وهذا ما يحدث مع أكرم الآن، والذي وجد نفسه أمام حائط صلب للمرة الثالثة!

ما الذي يحدث بالضبط؟

كانت نهاية الدرج تقود إلى طريق مسدود، لا شيء ليعبره يمينًا أو يسارًا، كل ركن أمامه معمور بحائط صلب لا يبدو أبدًا أنه سيتفتت بدفعة باليد، ولا حتى بقوة عشرة رجال مجتمعين، فما بالكم بأكرم الذي لا يزال حتى الآن منفرطًا من شدة الصدمة ومتسمرًا في مكانه، ليس هذا بالأمر الاختياري أصلًا، فلا طريق للعودة سوى بصعود الدرج مرة أخرى، وإن كانت ذاكرته لم تخنه فإن ثمة صوت إغلاق قد حدث بصورة تلقائية فور نزوله الدرجات الأولى من الدرج، لكن، وكمحاولة لفعل كل ما يمكن فعله، صعد أكرم درجات السلم وحاول زحزحة الباب الذي كان كتلة من الوزن تحتاج عشرة رجال آخرين، الحقيقة الوحيدة البعيدة عن كل هذه الخيالات أن أكرم هنا وحيدًا، وسيظل كذلك حتى يموت أو يخرج.

نزل الدرج من جديد وعاد إلى المربع صفر، مساحته، حسبما استنبط، متر واحد طولًا وعرضًا، ففي كل ركن ثمة إغلاق، حتى العودة كذلك باتت مغلقة، لا شيء ليفعله بالمعنى الأدق سوى المكوث في مكانه، وإن كان أحد يظن، كما يظن أكرم الآن، أن المشكلة الحقيقية هي عدم قدرة أكرم على التحرك فهذا أمر خاطئ تمامًا، وذلك لأنه في الحقيقة ثمة كارثة أكبر من ذلك بكثير، وهي أن خروج النفس دخوله من خياشيم الفتى المسكين باتت عملية من الصعب تأديتها بالصورة الطبيعية، وبمرور الوقت سيصبح

من الصعب تأديتها أصلًا، وهذا بالطبع يقود إلى النهاية التي يُفكر فيها أكرم الآن وهي الموت اختناقًا أو أسوأ ميتة ممكنة على وجه التحديد!

*****

(١٨)

كم من الوقت سينتظر؟

في الحقيقة هو لا يعرف، لا يعرف أي شيء عمومًا يتعلق بما يحدث له داخل أرجاء فيرجينيا، وإن كان في كل ما مضى يواجه الخوف من الموت فإن نزاله الآن سوف يكون مع الموت نفسه، حيث إنه من غير المنطقي أن يلبث في تلك العتمة الخانقة أكثر من سويعات قليلة، أو حسبما يصمد جهازه المناعي على وجه التحديد.

سيموت؟ هذا هو ما كان ينتظره منذ الدقيقة الأولى له بعد استيقاظه من النوم، هو فقط كان يتمنى ميتة أفضل من هذه وفي مكان أفضل من هذه، مكان يُمكن فيه على الأقل العثور على جثته.

جال بخاطره طيف البطولة، لأول مرة يتمنى لو كان قد أنقذ العالم ثم مات بعدها، في الحقيقة لو فعل ذلك ما كان سيموت من الأساس، سيُخلده التاريخ، سيُدرس للأطفال في المدارس أن شابًا لم يتجاوز الثلاثين من عمره تمكن من فعل أكبر معجزة في تاريخ البشرية، وهي معجزة الإنقاذ، لكن الآن، لا التاريخ يعرف به ولا حتى الأجيال القادمة ستقرأ في الكتب أن شخصًا قد حاول فعل المعجزة.

حتى المحاولة وما قام به من ألغاز لن تُذكر له، المسكين سيموت ويأكله الدود قبل أن يُجري المكالمة الأخيرة مع أكثر شخص أحبه في حياته، كان يثق في القدر، يظن أنه سيموت في الستين أو السبعين من عمره، على فراشه وبين أولاده وأحفاده، لكن الآن، ولسخرية القدر الشديدة منه، هو في مربع مُغلق أسفل فندق فيرجينيا المخيف، وطبعًا لا يحتاج الأمر إلى تفكير في أن الدكتور منير الجنايني لم يُخبر أحدًا بشأن التجربة، ما هذه

الميتة وما هذا القدر!

كانت فكرة خذلان الدكتور منير الجنايني لا تُفارق مخيلة أكرم في اللحظات القليلة التي من المفترض أن تكون تتمة حياته، بالتأكيد لم تكن الخطة أن يقف في هذه الوقفة دون أن يُحقق أي شيء من أهداف الرجل التي وضعها لإنقاذ العالم، سأل نفسه، هل كان غبيًا إلى الحد الذي جعله يفتح الباب الخاطئ بالمفتاح الصحيح، أم أن منير الجنايني هو من حاك كل ذلك كنوع من الانتقام، أراد لمن ينجو من تجربة النوم الموت في سرداب مُعتم كهذا؟

فقرة الأسئلة التأملية التي كانت تدور في رأس أكرم لم تكن تنتهي، يخرج من سؤال ويدخل في آخر، وكأن المسكين كان يُريد استخدام عقله أكبر استخدام ممكن فيما تبقى له في حياته، هكذا هي الحياة وهكذا هو الموت، في لحظة ما تشعر بأن عليك أن تنتبه للنهاية وتحمل كل ما يُمكنك حمله.

الفارق الحقيقي في الشيء الذي تحمله، وهل هو يستحق فعلًا أم لا، مثلًا، في لحظة كهذه، وأي شخص آخر في مكان أكرم يعرف أنه مُقدم على الموت، كان سينكب على الأرض ساجدًا مستغفرًا عن كل ذنب فعل، كان سيدخل في صلاةٍ طويلة حتى ولو لم يكن طاهرًا وصالحًا للصلاة، كان سيفعل أي شيء يُقرّبه من الله، لكن أكرم لم يفعل!

بدأ الهواء يتناقص، الأمل في الصمود كذلك كان في انخفاض تدريجي، ليس بوسع أي إنسان مواجهة الموت، هذه هي الحقيقة، وإن كان بوسع أكرم استنتاج الحقائق من الوضع الذي يتواجد به الآن فثمة حقيقة تقول إنه بات يشعر باختناق شديد، وحقيقة أخرى تقول إن الاختناق في رئتيه قد أثر على قدميه وجعله يسقط على ركبتيه في هيئة قريبة من الركوع، لمن يركع؟ هو لا يعرف، لكنه من المؤكد أن أشياء كثيرة في هذه الحياة قد غلبته إلا الحد الذي يجعله مُستعدًا للركوع أمامها، لا وقت الآن للتذكر، فقد بدأ الموت يُرفرف فوق رأسه بالضبط كصقر يتحين اللحظة المناسبة

للانقضاض على فريسته والظفر بها، متى سينقض عليه الموت؟ لا يعرف كذلك إجابة هذا السؤال.

تطور الوضع أكثر، بصورة لا إرادية تمدد أكرم على آخر درجة في السلم الذي قاده إلى الجحيم، فتح فمه لأطول فترة ممكنة، يُريده أن يكون عونًا للأنف في التنفس، لا هواء أصلًا، لكنه مجرد تشبث منطقي بالحياة، وإن كان ثمة كاميرا في هذا المكان المُظلم فإن الشيء الوحيد الذي كان من الممكن التقاطه في الظلام هو صوت شخص يصارع الموت في نزالٍ أقل ما يُقال عنه أنه غير عادل، لكن من يستمع؟ ومن سيدون تلك المظلمة نيابة عن أكرم المسكين، سيكون في غضون أسبوع على الأكثر مجرد هيكل عظمي، وهل يُمكن عقلًا أن يُسأل الهيكل العظمي عن مبررات موته؟

متى تحدث المعجزة؟

كان أكرم يُحدث نفسه بحدوث معجزة مدوية بإمكانها قلب الأمور رأسًا على عقب، هكذا اعتاد منذ أن دخل فندق فيرجينيا، كل شيء يتغير في اللحظة الأخيرة، لكننا الآن نتحدث عن مواجهة الموت، وكل البوادر تقول إنه لا ملاذ، آهٍ يا ملاذ، يتمنى أكرم لو أنه لم يقبل بعرض الدكتور منير ومكث لفترة أطول في غرفة الملاذ الأخير، على الأقل كان ثمة حياة ممكنة، ولو كانت ستنتهي فبالتأكيد لم تكن النهاية لتكون بكل هذا السوء.

بدأ أكرم يفقد الوعي، عيناه تضيق وتنغلق من تلقاء نفسها، ولم يعد قادرًا على توجيه جسده أو تزويده بأي أمر يُريده، مثلًا، إذا شعر الآن بحكة في أنفه وأراد استخدام يده فإنه من الصعب جدًا أن تستجيب يده لهذا الأمر، ما كل هذا الضعف؟ حتى جسدك في وقت من الأوقات سوف تفقد السيطرة عليه، الشيء الوحيد الذي طاوعك طوال حياتك سوف يأتي في وقتٍ من الأوقات ويقول لك «لا»، لن أفعل ما تُريده مني، بالطبع ذلك النوع من الخذلان هو أكبر خذلان يُمكن أن يحدث في الحياة، الخذلان الكبير، خذلان النفس.

(١٩)

انقطع الهواء تمامًا عن الغرفة، الآن يُمكننا ببساطة بدء العد التنازلي مع سماع عِتاب القدر لموت شخص مسكين في هذا العالم الكبير، بل أكبر المساكين به على وجه التحديد.

عشرة، غريب يا موت، لم تمنح أكرم فرصة ثانية وترى ما الذي سيفعله به، أتضمن أنه لن يتغير للأفضل ويبذل قصارى جهده لإنقاذ العالم؟ غريب يا موت، أنت لم تمنح الفرصة لأي شخص! أتظن حقًا أن هذه الفجائية واحدة من أسباب قوتك وسطوتك، أتظن أنك بخدعتك السخيفة تلك تبث الخوف في نفوس الآخرين؟ في الحقيقة أجل، أنت تفعل ذلك بكل اقتدار، أنت غريب جدًا جدًا يا موت، ومُخيف كذلك.

تسعة، لا شيء يدوم، ولا أنت يا موت، ستموت كما مات أكرم في يوم من الأيام، لكن أكرم صدقني كان يستحق المحاولة، ألا يُثير اختناقه أمامك أي شيء فيك؟ ألا يُحرك قلبك؟ أخبرني يا موت، هل حقًا لديك قلب؟ أشك في ذلك، أنا أعرف جيدًا ما الذي يُمكن أن يفعله أصحاب القلوب في لحظة كتلك، لكنك لا تمتلك واحدًا، وإلا، فحاول على الأقل أن تتأخر ولو قليلًا عنه، دعه يعبر ذلك الجدار وينظر ما الذي يتواجد خلفه، ربما يعيش، ويعيش بسببه الكثيرون، ربما يُحقق إنجازًا يفتخر به، وتفتخر أنت كذلك به، ربما يحدث أي شيء جديد، ربما يا موت.

ثمانية، بقيت سبع ثوانٍ فقط، راجع نفسك مرة أخيرة يا موت، فكر في الأمر جيدًا، تذكر أنك ستموت، ستحتاج لتلك الشفقة في يوم من الأيام، افعل لنهايتك، هل تعرف كيف ستكون نهايتك؟ هل تعرف كم روحًا قبضت؟ كم لعنة حصدت؟ كم أمًا أبكيت؟ بالمناسبة يا موت، إن لأكرم أمًا، وستبكي عليه وتلعنك بكل تأكيد، هل ستكون قادرًا على تحمل ذلك الأمر؟ الموضوع صعب جدًا صدقني ويستحق مراجعة نفسك مرة واثنتين وثلاثة، ستندم، إنها روح واحدة، لن تمنحك درجات إضافية عند ربك، أنا أدرك أنه أمرٌ من الله، لكنني ما أزال أطالبك بأن تُفكر جيدًا فيما أخبرتك.

سبعة، الوقت يمضي أكثر وأكثر، سيموت الفتى أيها الموت المعدوم المشاعر، لم يفعل شيء، ولا ذنب له فيما حدث، بل إنه قد حاول إنقاذ العالم، صحيح، هل كنت مستمتعًا بقبض أرواح ثلاثة أرباع العالم خلال الفترة القصيرة الماضية؟ أنا أدرك أنه أمر وعليك تنفيذه، لكنني أتحدث عن شعورك عند تنفيذك له، هل شعرت بمتعة؟ هل أحسست أنك تمتلك طاقة ونشاط إضافي؟ هل فكرت في أي شيء آخر بخلاف قبض هؤلاء المساكين، هل أوصلتهم بنفسك إلى باب الجنة لتكون بكل هذا القدر من السعادة!

ستة، أنا أحدثك، استمع لي على الأقل، أنظر إلى حالة الفتى الممدد أمامك على الدرج، لم يعد يتنفس، ولم يعد يمتلك الكثير من الوقت ليعيش، حاول رجاءً أن تفعل أي شيء، اعقد اجتماعًا عاجلًا مع من بيده الأمر، اتركه، وأنا أضمن أن يُجاهد ويعثر على طريق الخروج بنفسه، صدقني أنا لا أكذب عليك، سأكتب له واحدة من السيناريوهات الخاصة، ستكون مُدهشة وربما غير مُمكنة عقلًا، لكنها ستُعجبك، والأهم من ذلك أنها ستوفر الخروج الآمن لنا جميعًا، أعدك أنه لن يخسر أحد تلك الحرب، أعرف أنه ما دامت هناك حرب فثمة خاسر لكنني أعاهدك بكتابة أغرب سيناريو ممكن لتحقيق تلك المعجزة، أنا آسف، ما تفعله أنت فقط هو ما سيُعتبر معجزة، افعل شيئًا أرجوك.

خمسة، أربع ثوانٍ على النهاية، الوقت يُمضي، ثوانٍ قليلة وسينتهي كل شيء، كل ما مضى من معاتبة سوف يضيع هباءً، تأمل جسده، تأمل ملامحه البريئة، تشمم رائحة الخوف فيه، لا شيء يقول بأية حال من الأحوال أن الماثل أمامك شخص يستحق الموت، وحتى لو كان يستحق، الجميع على هذه الأرض يستحقون، هل ماتوا أيضًا!

أربعة، طيب، لا تُنقذه من أجله، لنتفق أنه يستحق الموت، هل البشر جميعهم كذلك يستحقون الموت؟ إن مات سيموتون معه، هو الملاذ الأخير، هل ستغامر بالتضحية بمتعتك في قتل الناس واحدًا تلو الآخر؟ هل ستنهي الأمر بضربة واحدة؟ ستسقط كل العصافير بحجر مثل هذا؟

أين المتعة يا موت؟ صدقني أنت مُخطئ.

ثلاثة، الوقت ينفذ، وحياة الفتى المسكين تنفذ، دعه على الأقل يُجري مكالمة بمن تبقى من ذويه ليُخبرهم بأنه حاول وفشل، دعه يحفظ ماء الوجه، سيظنون أنه قد استسلم ومات منذ اللحظة الأولى، هل يُرضيك أن تسوء سمعة الفتى المُمدد أمامك الآن، احترم ضعفه على الأقل!

اثنان، بقيت ثانية واحدة، سيموت، هل ستكون سعيدًا لذلك؟ أنظر في عينيه وأجبني، ثانية واحدة وينتهي الأمر، حاول أن تفعل شيئًا صحيحًا لمرة واحدة في حياتك، حاول يا موت أرجوك.

واحد، انتهى الوقت، أنظر إليه، لقد مات يا موت!

*****

(٢٠)

جثتان!

هذا هو الوصف الدقيق بالنسبة لأي شخص يرى المنظر في آخر الغرفة من بعيد، ثمة سريران متجاوران حسبما يبدو، على الأول جسم مُغطى لطفل صغير ربما لم يُكمل العاشرة من عمره بعد، وعلى الثاني جسم مُغطى آخر لشاب يمكن القول إنه قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره قبل سنوات قليلة، هذا بالضبط هو الطول الذي يكون عليه الفتيان الذين يتجاوزون هذا العمر، تمامًا كما هو الطول المناسب لطفل، ما بين المائة والتسعين سنتيمتر للشاب والتسعين سنتيمتر للطفل بإمكانك أن تقول أن ثمة حياتين يافعتين قد انتهيا قبل وقت قصير، وذلك ببساطة لأن الأجسام كما هي، لم تتحول لهياكل عظمية بعد، أو ربما أحد ما فعل كل ما بوسعه كي يحفظهما من التحلل!

لنقترب أكثر، أشياء كثيرة في هذه الغرفة سوف تجذبك جذبًا لاكتشافها، ثمة الكثير من الأدوات الطبية والمحاليل والأجهزة، هذه غرفة طبية على الأرجح، ونحن الآن في مستشفى، لكن لحظة واحدة! ما الذي جاء بهذه

المرآة إلى هنا؟ وما الذي يجعل الساعة الموجودة فوقها تُشبه تلك التي تتواجد في غرفة الملاذ الأخير، أصلًا الحيطان تقريبًا تبدو وكأنها وحدة، نفس الشقوق البسيطة في الزوايا المتخفية، نفس المكتب يقبع في ركن منزو، ونفس الحاسوب الغريب الذي رآه أكرم عندما دخل الغرفة، نفس كل شيء تقريبًا، أتكون هي!

مستحيل، لا يُمكن أن تكون هذه الغرفة هي نفسها الملاذ الأخير، سيكون من الجنون أن يكون ذلك الأمر صحيحًا، وإن كان، وبغض النظر عن وجود الجثتين، من يُمكنه يا تُرى إحضارهما، وما الذي سيفعله بهما، هل ثمة أحد في هذا الفندق المخيف؟ وإن كان، فلماذا لم يُساعد أكرم؟ لماذا لا يذهب لإحضار جثته من ال...

لحظة واحدة!

لمن هذه الجثة المغطاة التي تتواجد بجوار جثة الطفل، من في هذا الفندق يُمكن أن يكون قد جاوز الخامسة والعشرين من عمره ويملك المائة وتسعين سنتيمترًا من الطول، من سوى أكرم، وهذه الجثة! جثة من!

لنقترب أكثر، النوافذ مفتوحة، من أين جاءت وكيف فُتحت يا تُرى، ثمة حياة في المكان، أنفاس بشرية طازجة في المكان الذي تتواجد به الآن جثتان، يُطير الهواء الأغطية من على الجثث، جثة الفتى ذو المائة والتسعين سنتيمترًا تبدو أقرب للنافذة وفريسة أسهل للهواء، سيطير الغطاء من فوق الجثة الآن، ثمة احتمال واحد فقط سيكون معجزة إذا كان صحيحًا، الهواء يزداد والغطاء يُقاوم، لكنه لن يتحمل أكثر وسيطير في أي لحظة من اللحظات، سيطير، سيطير، لقد طار.

احبسوا الأنفاس، إنها جثة أكرم يا سادة!

لا وقت للسؤال الآن عن كيفية وصولها إلى هذا المكان، السؤال الصحيح الواجب سؤاله الآن هو من ذا الذي أوصلها إلى هنا، وإن كان هذا هو الملاذ الأخير، فمن يُمكنه أن يدخل إليه ويضع الجثث به، ثم إنه ثمة أمر مجنون آخر، كيف جاء الطفل إلى هنا وكيف جاءت جثته، هل علينا أن ننتظر

الهواء حتى يُزيل الغطاء لنعرف من تعود إليه الجثة، الجثة بعيدة عن النافذة، لكن الهواء قريب، وسيصل إليها، صحيح أنه سوف يأخذ وقته كاملًا، لكنه في النهاية سوف يصل.

يبدأ الغطاء في التحرك، لقد بدأ يشعر بوجود الهواء حوله، لو كان ثمة مروحة مُثبتة بالقرب من الجثث لما كنا في حاجة إلى الانتظار تحت رحمة الهواء، لكننا سنفعل، ليس أمامنا أي طريقة أخرى، إن كانت جثة أكرم قد أزالت جزءًا من الغموض فإن الغموض كله يكمن في جثة الطفل، عندما يتطاير الغطاء فوق وجهه سوف نكتشف سرًا جديدًا من أسرار العالم، لكن، ما هذا الصوت الذي نسمعه الآن!

ثمة وقع أقدام!

أمر مجنون آخر يحدث في غرفة الملاذ الأخير، ثمة أقدام تتحرك يبدو أنها لإنسان، أصوات حية وليست تسجيلية على وجه التحديد، لو كان الأمر صحيحًا فإن معجزة ما تتجهز للحدوث الآن، مثلًا، لو كان أكرم على قيد الحياة لكان سيظن أن رزق الذي حادثه قبل ساعات قد تمكن من الولوج إلى الفندق وجاء لمساعدته، لكنه قد مات، أو هكذا ظن أكرم عندما لم يسمع له أي صوت، إذًا، من ذا الذي يتحرك الآن داخل الفندق، وكيف دخله من الأساس!

لحظة واحدة!

لماذا تتحرك المرآة، ركزوا الأسماع، إنه صرير تحرك المرآة وتزحزحها، كيف تتحرك تلك القطعة الزجاجية اللعينة؟ ما الذي يحدث خلفها، يا إلهي! ما تلك اليد التي تظهر، هذه يد بالفعل، أجل هناك يد تُزحزح المرآة، ليس هناك أي نوع من أنواع السحر، المرآة تتحرك لأن شخصًا ما يُحركها، لكن، من الذي يفعل ذلك؟ ولماذا يفعله من الأساس؟ السؤال الأهم، ما الذي يتواجد خلف المرآة حتى يُخرج لنا يدين لشخص ما؟

بدأ الكتف في الظهور، الشخص الذي يُحرك المرآة من المؤكد أنه سينجح في زحزحتها، لقد أخرج كتفه ويديه، الآن قدمه تبدأ في الولوج إلى الملاذ

الأخير، نصف جسده تقريبًا قد نجح في الدخول، من المؤكد أنه سيُدخل النصف الآخر، في الحقيقة إذا رأيته وهو يُحرك المرآة فسوف تجزم أنه شخص خبير بهذا الأمر، لقد قضى وقتًا ليس بالطويل في محاولة تحريك تلك المرآة، وها هي تنقشع الآن بكاملها ليدخل الشخص الغامض بكامل جسده داخل الملاذ!

لماذا يعتمر القبعة في مثل هذا الوقت؟

لا تسأل هذا السؤال، فهناك ما هو أشد غرابة من ذلك، فثمة مثلًا نظارة شمس على عينه في المكان الذي من المفترض أن تكون الشمس آخر شيء يُفكر شخص بها، ثم إن البالطو الأسود الطويل الثقيل الذي يرتديه لا يليق أبدًا بالجو الذي يُرفرف حوله، كل شيء يتعلق بهذا الشخص الذي ظهر من خلف المرآة غريب، هو نفسه شخص مُثير للغرابة، لكنه على ما يبدو قد فكر في إزالة تلك الغرابة وإزالة ملابسه معها.

نزع النضارة الشمسية غير المنطقية ثم البالطو الأسود الطويل ومن ورائه القبعة الغجرية المريبة، نزع كل شيء كان يخفي ملامحه بصورة بوليسية مثيرة للاهتمام وكأنه يقول: «الآن، أعزائي أحبائي، احبسوا الأنفاس لتسمعوا بأغرب شيء قد تسمعوه في حياتكم، إنه أنا، الدكتور منير الجنايني، ذلك الشخص الذي لم يهزمه أحد قط!»

*****

(٢١)

الزمن نفسه وقف حائرًا أمام ما يراه، كيف يُعقل هذا؟ وكيف يكون الدكتور منير الجنايني على قيد الحياة؟ هل ثمة آلة زمن في المستقبل، هل فعلها منير الجنايني وأدهش العالم بواحدة من اختراعاته؟ أم أنه فقط قد وقع خطأ ما لا يزال الزمن يحاول تداركه، أجل بالتأكيد وقع خطأ، وليس من المنطقي أبدًا أن يكون ما نراه أمامنا صحيحًا، إنه منير الجنايني، لكن يبقى السؤال المُحير، لمن ترجع جثة الطفل الصغير؟

سحب منير الجنايني يد أكرم من أسفل الغطاء ثم أوصلها بشيء ما يقبع في منتصف الجثتين، وإذا كنت شديد الملاحظة فسوف تدرك أمرًا آخر يقع على سرير جثة الطفل، وهو أن نفس الشيء الموصول بجثة أكرم يتواجد كذلك في جثة الطفل، لكن ما هذا الشيء؟ وما الذي يحدث؟ أضف علامات التعجب تلك على كل شيء غريب شاهدته الآن.

في الشيء الرابط بين الجثتين كان بوسعك أن ترى جيدًا تدفق شيء أحمر في المنتصف، إنه دم، وتحديدًا هو الآن يخرج من جثة أكرم باتجاه جثة الطفل الصغير، والذي لا يزال الغطاء موجودًا على وجهه حتى الآن، لم يتعاطف الهواء معنا بعد كي نتمكن من رؤية ما يقبع تحت ذلك الغطاء، لكن مُسبقًا يُمكننا التنبؤ بأنه ثمة معجزة أخرى بانتظارنا.

مع نقل الدم تحرك منير الجنايني نحو جثة أكرم مُمسكًا بحقنة صغيرة في يده، كان جادًا في كل شيء، بدا وكأنه يُدرك كل ما يعجز الزمان والمكان عن فهمه الآن، كما أنه كان واثقًا فيما يفعل، ربما لا أحد غيره في هذا العالم يدرك حقيقة الأمور مثله، لكنه لا يزال على ثباته وثقته بنفسه.

بخطى ثابتة، توجه منير الجنايني تجاه جثة أكرم حتى تسمر في يسارها وسحب يد الشاب المسكين ثم أغمد الحقنة بها، أمر غريب جدًا أن تُعطي حقنة، مهما كانت، لإنسان ميت، الجسد الميت لا رجاء منه، بالنسبة للكثيرين هو والعدم سواء، ما دمت الروح غير موجودة فلا طائل منه، حتى ولو كان جسد أقوى شخص في العالم، فإنه بعد الموت يُصبح لا يختلف كثيرًا عن جسد البعوضة، هكذا هو الموت، يسلب الأشياء الهامة قيمتها.

كان الزمن لا يزال غير مُدركٌ بعد لما يجري حوله، كان مُنهمكًا في محاولة استيعاب جادة لحقيقة الأمور، لكن منير الجنايني لم يكن ليترك الزمن يلتقط أنفاسه ويُلملم نفسه، حيث أطلق عليه رصاصة الرحمة بتلك الحقنة، والتي ما إن أغمدها في زراع أكرم الأيسر حتى بدأ القلب في الخفقان وتجهز بؤبؤ العين للرؤية وسحبت فتحتي الأنف الهواء وأخرجته،

ببساطة شديدة، أكرم الآن على قيد الحياة، ولا يُسأل في ذلك سوى الرجل الذي لا يزال واقفًا بثباتٍ تام بالقرب من الجثة، الدكتور منير الجنايني.

*****

فتح أكرم عينه كالطفل الذي لا يزال في طور التعرف على الحياة، لكن أكرم كان يعرفها، فقد قضى فيها ما قضى، ويعرف كذلك أن ثمة معجزات قد حدثت معه، ومعجزات أخرى ستحدث في الساعات المقبلة إن كان ما يراه أمام عينيه صحيحًا، وإن كان الواقف فعلًا هو منير الجنايني، لكن لحظة واحدة، ألم يمت أكرم قبل قليل!

كان أكرم لا يزال يحتفظ بذاكرته التي ودعها قبل ساعات في مشهد الموت، يتذكر جيدًا أنه قد اختنق وغاب عن الوعي حتى أدركه الموت، أو هكذا ظن، فلم يثبت بعد أن شخص ما قد ودع الحياة ثم عاد ليقص كيف وجد الموت، وإن كانت معجزة مثل إحياء الموتى لا يُمكن أن تكون من اختصاص الدكتور منير الجنايني فإن ما حدث قبل قليل لا يعدو كونه واحدة من الخدع التي نادرًا ما تحدث في حياة أي شخص، خدعة الموت.

- ما الذي حدث؟

أخيرًا تمكن أكرم من تحريك شفتيه مع إخراج صوت يُمكن وصفة بالكلام النصف ناضج، ذلك الكلام الذي لا يُمكنك فهمه إلا إذا كنت مُلمًا بالسياق ودارئًا بما يجري حولك، ومنير الجنايني بالتأكيد كان كذلك، لكن، وبطريقة استفزازية بحتة، لم يُجب منير بأي كلمة، ومع أنه قد سمع السؤال جيدًا إلا أنه لم يُعره، وكذلك من سأله، أي اهتمام يُذكر، أما أكرم فلم ييأس، أو أنه قد تشكك في إخراجه للسؤال في الأصل، كرر بدرجة نضوج أكبر:

- ما الذي حدث؟

كان منير الجنايني يتحرك بين السريرين ويضبط الشيء الموجود بين أكرم وجثة الطفل، أو ذلك الجسد الذي لا يزال من الممكن أن يُجذم كل

من يراه بهذه الحالة أنه جسد طفل ميت، أعاد أكرم المسكين السؤال مرة ثالثة بدرجة نضوج كافية يُخالطه جزء ليس بالقليل من الغضب:

- أقول لك ما الذي يحدث؟

جرّ منير الجنايني مقعد من الحديد ووضعه بجانب سرير أكرم الذي كان أقصى ما يستطيع فعله هو تحريك شفتيه، أما كل مكان آخر في جسمه فلم يكن قادرًا على الاستجابة لأوامر العقل بالتحرك، مثلًا، أصدر أكرم أمرًا للقدم بأن تنتفض، لكنها لم تفعل، وكذلك أصدر أمرًا لليدين بأن تنزع الأشياء المُعلقة بها لسحب الدماء، لكنها لم تفعل أيضًا، بدا جليًا أن منير الجنايني يُبسط قبضته على كل شيء موجود في هذا المكان، قال بعد أن جلس على المقعد الذي اجتره:

- لا تحاول بذل أي مجهود إضافي، لا تحاول أصلًا أن تفعل أي شيء، التزم الصمت وقبله الهدوء، هذا سيجعل من الأمر أسهل بعض الشيء.

- أي أمر ذلك الذي سيكون سهلًا عليّ؟

قال أكرم مُستنكرًا وقد بدأ يستجمع قدرته الكلامية أكثر وأكثر، أجابه منير ببرودٍ شديد:

- الأمر الذي دخلت من أجله ذلك الفندق، وظيفتك، صحيح، أنا لم أبارك لك، مبروك، لقد ظفرت بالوظيفة.

- أي وظيفة، أخبرني ما الذي يحدث بالضبط!

- تعرف، لو كن في ظروفٍ غير هذه، لما قمت حتى بالرد عليك، لكنك الآن تحتاج من يُجيبك، وسأتطوع أنا بفعل ذلك، لكن أولًا، هل تعرفني؟ لقد كنا شبه أصدقاء طوال الفترة الماضية وتحدثنا كثيرًا بصورة غيرة مباشرة.

هز أكرم رأسه ببطء مُقرًا بمعرفته لمنير الجنايني، بالطبع قد شاهده كثيرًا في تسجيلات الفيديو بالمرآة، وسمع صوته أكثر في ذلك المذياع،

لكن، ثمة سؤال منطقي لو لم يقله الأكرم الآن لتم وصفه بالجنون، سأل أكرم:

- أليس من المفترض أن تكون ميتًا؟

ضحك منير الجنايني بصورة هيستيرية، قال بسخرية:

- غريب، عليك أن تسأل نفسك أولًا ذلك السؤال، أنت أيضًا من المفترض أن تكون ميتًا، أليس كذلك؟

شعر أكرم أنه رأسه قد ثقل من الألم، الأفكار والتساؤلات التي يطرحها وجود منير الجنايني أمامه أكبر بكثير من أن يتحمله عقله الذي لا يزال حتى تلك اللحظة جاهلًا بحقيقة كونه على قيد الحياة أم لا، قال الشاب بعجز:

- أنا لا أفهم أي شيء، بالله عليك أخبرني بما يحدث هنا!

- تُريد أن تعرف الذي يحدث الآن أم الذي حدث بالفعل؟ لو كنت مكانك لعرفت الماضي أولًا واستنتجت منه الحاضر.

كالعادة يحتفظ منير الجنايني بهدوئه وبروده، أما أكرم فلا يحتفظ بشيء سوى الألم في رأسه، قال مُستغيثًا:

- أخبرني بأي شيء يوضح الأمر، أشعر بأنني أختنق.

لوح منير الجنايني بيديه قائلًا:

- لا تخشى الاختناق على الإطلاق، إن كانت ذاكرتك قوية فبالتأكيد أنت تذكر جيدًا اختناقك قبل وقت قصير في الخندق الموجود تحت الأرض، ولم تمت، كان اختناقًا شديدًا ولم تتأذى منه كما توقعت، ربما لا تعرف ذلك، لكنك قوي جدًا يا أكرم، أقوى مما تتخيل.

- لا أفهم منك أي شيء!

قال أكرم المسكين باستسلام تام، أما منير فقد عدّل من مقعده واقترب

أكثر من سرير أكرم، قال مُتفلسفًا:

- أحيانًا يعرف الآخرين بعض الأمور الخاصة بنا، أمور ربما لا يُمكن للشخص أن يعرفها عن نفسه، لكن الحاجة إلى المعرفة تكون هي الفيصل في مثل هذه الأمور، هل تعي ما أريد قوله؟

لوح أكرم برأسه التي كانت حملًا ثقيلًا عليه، قال منير يوضح له:

- في الحقيقة يا أكرم أنت شخص عادي، هذا ما يعرفه الجميع عنك، وما تعرفه كذلك عن نفسك، لكن باطن الأمر أنك تمتلك ميزة ربما لا تتواجد سوى في خمسة عشر شخص فقط في العالم، ببساطة شديدة، أنت شخص مميز.

كانت كل العلامات والتعبيرات التي يُظهرها أكرم تقول بوضوح أنه لا يفهم ما يقوله منير الجنايني، منير كان يفهم أن أكرم لا يفهم ما يقول، قال يوضح:

- ما هي فضيلة دمك؟

ربط عقل أكرم سريعًا بين الدم وما تحدث عنه العم رزق قبل اختفائه، لكنه لم يكن يرغب في تضييع الوقت في أحاديث جانبية، أجاب بما يعرف:

- A +، حسبما أذكر.

- لا أنت محق، هي كذلك بالفعل، ولو ذهبت الآن إلى أي معملٍ للتحاليل لأظهرت تلك النتيجة، لكنني كما أخبرتك كنت في حاجة إلى معرفة أمر ما عنك، ولذلك تمكنت من اكتشافه بطريقتي الخاصة، وهو في الحقيقة السبب في كونك هنا الآن.

أمر آخر لم يفهمه أكرم، لكن منير على ما يبدو كان لا يرغب في إخراج كل الحقائق دفعة واحدة، قال يُوضح:

- سأبسط لك الأمور أكثر، لكن أخبرني أولًا، هل تذكر ما حدث لك في

اليوم السابق ليوم مجيئك لفندق فيرجينيا؟ السادس من يوليو على وجه التحديد.

- لا أذكر أي شيء.

- حاول أن تتذكر، الأمر ضروري في تفسير كل شيء.

أعمل أكرم عقله قليلًا، الأمر بالتأكيد يستحق كل هذا العناء، قال خلال تذكره:

- كان يوم فارغ بالنسبة لي، جلست أغلبه في البيت ولم أخرج سوى للصلاة، ثم جاءني في المساء مرسال الوظيفة.

- جميل جدًا، ألا تذكر شيء ما غريب قد حدث لك في صلاة ظهر ذلك اليوم؟

لوح أكرم برأسه أن لا، تابع منير مفسرًا:

- لقد تبرعت بالدم لمؤسسة «الإخلاص»، تركت بيانتك وقيل لك أن النتيجة سوف تصلك حتى باب البيت.

بدا أكرم وكأنه يتذكر الأمر بالفعل، لم يُمهله منير الجنايني وقتًا للاستيعاب، تابع:

- إليك النتيجة التي تأخرت في الوصول، فصيلة دمك الخفية هي «hh»، أو فصيلة مومباي، أندر فصيلة دم في العالم، فهي لا تتواجد سوى في خمسة عشر شخص فقط، هل تعرف ما الذي يعنيه هذا؟

لم ينتظر منير الجنايني وقتًا حتى يُلقى أكرم بإجابته، قال يسبقه:

- هذا يعني أنك شخص مميز، تمتلك المواصفات التي أبحث عنها منذ عشرة أعوام.

كان إدراك الحديث برمته أمر صعب على أكرم الذي لا يزال في طور التخدير، كان بالتأكيد يسمع ما يقوله منير له، لكنه يفهم بعضه ولا يفهم

البعض الآخر، وكان الطبيب يُدرك ذلك الأمر ويوضح أكثر الأشياء التي يشعر أن أكرم لما يفهمه، فيما يتعلق بهذا الصدد فقد أضاف مثلًا:

- في الحقيقة، ليس هناك مؤسسة تُدعى الإخلاص، أنا من كنت أجمع هذا الدم وأبحاث عن شخص بمواصفتك بين أكثر من سبعة ملايين شخص قمت بتحليل دمائهم طوال السنوات الماضية.

- من أجل إنقاذ العالم، أليس كذلك؟

سأل أكرم، فانفجر منير الجنايني ضاحكًا عقب سماع السؤال، قال ساخرًا:

- أجل، من أجل إنقاذ العالم، لكن هل تعرف يا أكرم أي عالم ذلك الذي كنت أسعى لإنقاذه طوال الوقت؟ أي عالم ذلك الذي فعلت المستحيل من أجله وخاطرت بكل شيء حتى نصل لهذه اللحظة!

بدا السؤال غريبًا بعض الشيء على مسامع أكرم، لم يُرد أن يسأل هو الآخر سؤالًا غريبًا، ترك منير يُتابع:

- في الواقع إن فكرة العوالم فكرة معقدة، لكل شخص عالمه الخاص به، ذلك العالم الذي يرى فيه ملاذه وحياته، وإذا كنت سأطبق هذا الأمر على حالتنا هذه فإنك يا أكرم قد نجحت بالفعل في إنقاذ عالمي.

قام منير من مقعده وتوجه ناحية السرير الموجود بجوار أكرم، كانت جثة الطفل مُغطاة كما هي، أمام أعين أكرم نزع منير الغطاء بطريقةٍ مسرحيةٍ خالصة ثم قال:

- هذا يا عزيزي هو العالم الذي أتحدث عنه، طفلتي فيرجينيا.

*****

(٢٢)

لم تكن الجثة، لأن أداة التنفس كانت مُثبتة على فم ذلك الطفل المُمدد على السرير، والذي ستجد في البداية صعوبة بالغة في تحديد نوعه أو حتى شكله بسبب تلك التشوهات التي يمتلأ بها، وعلى ما يبدو أن تلك التشوهات كانت خلقية بحتة، وهذا ما أوضحه الدكتور منير عندما فصل موصل الدماء عن الجثة ثم قال:

- لا وقت للصدمة يا أكرم، هذا هو عالمي الذي طالما حدثتك عنه طوال فترة وجودك في الفندق، طفلتي فيرجينيا، جاءت بعد عناء شديد، لكنها بكل أسف جاءت وهي تحمل مرض العضال، وهو، إن كنت لم تسمع به، مرض نادر جدًا الحدوث، يجعل الشخص لا ينمو ولا ينضج، ويُصيبه بتلك التشوهات التي تراها الآن، وغالبًا ما ينتهي عمره بعد تجاوز العشرين عامًا، وأنا طبعًا لم أكن لأقبل بموت طفلتي الوحيدة في هذا العمر.

نظر أكرم لمنير الجنايني باستنكار، كانت الأنفس تأخذ في التلاشي من جديد، تماسك وسأله:

- وماذا فعلت؟

أخذ منير نفسًا عميقًا ثم أخرجه مرة أخرى بغلّ، أجاب:

- لا شيء، أنا طبيب، ولذلك بحثت وقلبت العالم على الدواء، لم أصدق أولئك الذين أخبروني بأن المرض لا دواء له، سأخترعه إذا استدعى الأمر، وبالفعل بعد بحث طويل عرفت أن الدواء يكمن في سحب جرعات من دم فصيلة إتش إتش «hh» وتزويد مريض العضال بها لفترة من الوقت، بعدها سوف تنشط أجهزته ويعود لحالته الطبيعية.

بدت آثار الدهشة على أكرم، تابع منير موضحًا:

- أخبرتك من قبل أنك تملك فصيلة دم نادرة، لكنني لم أخبرك بما يُمكن أن يفعله دم إنسان فريد مثلك، أنت كنز يا أكرم، يمتلك دمك قدرة علاجية كبيرة تعادل الـ «ميراكورو»، معجزة اليابانيين الطبية خلال

الحرب العالمية الثانية.

نظر منير إلى أكرم فوجد علامات عدم الاستيعاب باديةً عليه، تابع مقتربًا أكثر منه:

- آسف، نسيت أنك لا تعرف أصلًا معجزة اليابانيين، هذه عادتنا، لا نقرأ كثيرًا، ببساطة يا سيد أكرم أنا أحدثك الآن عن ميراكورو اليابان، إنه ذلك المصل الذي اخترعوه من أجل زيادة قوة الإنسان وتجديد خلاياه وأنشطته من جديد، تخيل أن يُصاب جُنديك إصابة قاتلة ثم تجده في اليوم التالي بميدان المعركة دون أي تأثير؟ إنها معجزة، كان المصل فتاكًا بحق وأقوى بكثير من القنبلة النووية الأمريكية، لكنه للآسف لم يعد موجودًا.

بعدما أبدى منير تفاعلًا حزينًا في حديثه عاد يبتسم مرة أخرى قائلًا:

- بيد أنه لا داعي أبدًا لقلك، إذ أن فصيلة دمك النادرة تمتلك نفس الخصال، فبعد تفاعله مع أعضاء جسد طفلتي المصابة بالعضال ستتجدد أنسجتها وتُصبح طبيعية مثل أي شخص عادي، في الحقيقة يا سيد أكرم لا أجد كلمات شكر مناسبة لما فعلت لي، لقد ضخخت الحياة في ابنتي من جديد، أو على افتراض ما سيحدث الآن.

كانت الدهشة لا تزال متمكنة من الشاب المسكين، لم تدهشه تلك المعلومات الطبية بقدر ما أدهشه جهله بما يحتويه جسده من دماء إعجازية، كذلك كان مندهشًا من وصول منير إليه، سأله:

- وكيف وصلت إليّ؟

قال مُنير يتبختر بقدراته الكبيرة:

- الأمر بسيط جدًا، قمت بعمل أبحاث ودراسات، فعرفت أن مصر بها شخص واحد، من بين خمسة عشر شخص في العالم، يحمل فصيلة الدم النادرة تلك، وقد توصلت إليه بالطريقة التي حدثت لك، التبرع بالدم في المساجد، أصحاب القلوب الطيبة كثر، وقد كنتُ سعيد الحظ بك، خططت

لمجيئك، ثم جئتَ إلى هنا بالفعل وحدث ما حدث.

بكلمات عاجزة عن التصديق سأل أكرم الذي يفقد القدرة عن مواكبة الحياة شيئًا فشيئًا:

- إذًا كل ذلك وهم؟ لم يحدث شيء مما أخبرتني به في تسجيلات الفيديو والمذياع؟

- لا، لم يحدث أي شيء، ببساطة أكثر، كل ذلك لم يكن، أنا من صنعته لك، أمر صعب جدًا أن تصنع عالمًا خاصًا بشخص واحد فقط وتجعله يعيش به لثلاثة أيام كاملة، لكنني من أجل فيرجينيا فعلت.

ما زالت الدهشة حاضرة على أكرم، سأل بقلقلة:

- أليس اليوم هو الـــ...

قاطعه مُنير:

- لا لم يتقدم الزمن كما جعلتك تظن، إننا لا نزال في العام السابع عشر بعد الألفين، مرت ثلاثة أيام فقط، ولعلمك، ليست هناك تجربة على وجه الأرض يُمكن أن ينام شخص على إثرها أكثر من ثمانية وأربعين ساعة.

- والعالم بالخارج؟

ألقى أكرم سؤاله التالي، المسكين كان يُريد التيقن من أن كل شيء بخير، كان يختنق، أجابه منير:

- بخير، على أكمل خير، ما زال الله لم يأذن بزواله بعد.

تذكر أكرم أمر المرشحين الأربعة الذين دخلوا معه من أجل الوظيفة، سأل:

- والمترشحين للوظيفة، هل ماتوا حقًا؟

- لا، لقد كانوا أشخاص تابعين لي في الأصل، قلت لك، أنا من خلقت ذلك العالم الذي تصورته، هناك فريق كان مُجهز بالكامل من أجل ذلك اليوم

فقط، من أجل نثر الأتربة وزرع بيوت العنكبوت وإحداث الشقوق ووضع الهياكل العظمية، لقد كنت صادقًا عندما أخبرتك في المذكرات أنني قد بعت كل ما أملك من أجل استخدام الأموال في إنقاذ العالم، أو ابنتي فيرجينيا، عالمي الكبير.

أمر آخر تذكره أكرم فسأل عنه على الفور:

- والرجل الذي حادثني من خلف الباب، العم رزق، هل هو تابع لك أيضًا؟

بطريقة مستفزة أجابه منير:

- يا رجل! ألا زلت لا تُدرك بعد أن ذلك الرجل كان أنا؟

أدرك أكرم بلاهته في تلك اللحظة، لكنه تغاضى عن ذلك وسأل سؤالًا منطقيًا:

- ولماذا جئت واختفيت إن كنت أنت العم رزق؟

- لقد وصلت إلى مرحلة ما كانت ستقودك إلى إبطال القصة بأكملها، ولذلك قررت أن أظهر وأبعثر أوراقك من جديد، ولا تُنكر أنني أمتلك خيالًا خصبًا ظهر بوضوح عند سردي لقصص نهاية العالم.

- والمعلومات التي ذكرتها في التقرير الخاص بي الموجود في الملاذ الأخير، أنا على يقين أنها معلومات سرية شخصية خفية، من المفترض ألا يعرفها أحد سواي!

لوح منير مشيرًا بقبضته رافعًا إبهامه:

- وهذا ما حدث بالضبط، لقد أخبرتني بها أثناء التخدير في صورة الهلوسة، فقررت أن أضعها في صورة تقارير كي تتيقن من أنني أجريت بحثًا عنك وفعلت كل ما يلزم.

استسلم أكرم، قال والحسرة تغمره:

- ولماذا كان عليك أن تخوض تلك التجربة وتجعلني أعاني كل هذه

المعاناة؟ ألم يكن من الممكن أن تخبرني بحقيقة الأمر وتجعلني أتبرع لك بما تريده من دماء؟

زفر منير الجنايني ثم قال:

- اسمع يا أكرم، أقدر أنك لن تفهم إذا شرحت الأمر بصورة علمية طبية، لكنني اكتشفت خلال الأبحاث أن شرط نجاح تلك التجربة ونجاة ابنتي أن يكون الدم ساخنًا وبه قدر من النشاط الفائق، وأنت لم تكن لتصل إلى ذلك القدر سوى بحل تلك الألغاز، لقد أفرز عقلك الأدرينالين الذي نحتاجه لإيصال الدم إلى درجة النشاط المطلوبة، ثم إنك في الحقيقة كنت ناجح جدًا في ذلك ومُتجاوب معه، وفيما يتعلق بإخبارك فصدقني لو أخبرتك بالأمر لرفضت.

سأل أكرم متعجبًا وهو يشعر بأن الاختناق قد تمكن منه:

- ولماذا قد أرفض مساعدتك؟

تمنّع منير، قال واثقًا:

- ستكتشف الإجابة على ذلك السؤال بنفسك.

ترك أكرم مسألة اكتشاف إجابة ذلك السؤال وسأل آخر أكثر أهمية من وجهة نظره، قال:

- ولماذا وضعتني في الخندق تحت الباب؟

- هذه تحديدًا خطوة كان من المهم جدًا أن تمر بها، لقد استطاعت أن تُوصل الدم إلى أكبر درجة نشاط ممكنة، عندما تواجه الموت الحقيقي فإن كل شيء فيك سوف ينتفض متشبثًا بأي أمل في الحياة، بما في ذلك دمك.

استفزت الإجابة أكرم، زأر غاضبًا:

- وإن مت مُختنقًا؟

maktabbah.blogspot.com

أجاب منير ببرود يُحسد عليه:

- لم أضع أي خطة بديلة حال حدوث ذلك الأمر، لقد وثقت بك منذ اللحظة الأولى، وكنت أعرف أن أقصى ما سيصل إليه الأمر هو حالة الاختناق الشديدة، وقتها كنت أنتظرك بالإسعافات اللازمة.

صمت أكرم قليلًا ثم عاد وسأل:

- ولماذا تُخبرني كل هذه الحقائق، ألا تعرف أنني سوف أبلغ الشرطة عنك، لقد حفظت وجهك وسأل...

اصطنع منير وجهًا عبوسًا ساخرًا في ذات الوقت، قال مُحتفظًا بالوجه المصطنع:

- مسكين، أنت لن تخرج من هنا أصلًا يا أكرم.

صُدم أكرم من وصف منير له بالمسكين، سأل بقلق:

- ما الذي تعنيه بذلك؟

قام الدكتور منير الجنايني من موضعه ثم حرك سرير طفلته فيرجينيا خارجًا، قال يُوجه حديثه لأكرم أثناء المغادرة:

- هل سمعت من قبل عن رجل بقي على قيد الحياة بعد أن فرغ دمه؟

كان الجهاز الموجود بين السريرين يبدو وكأنه قد تقارب على الامتلاء بالدماء، وكان جسم أكرم يهبط ويغيب شيئًا فشيئًا، كان شاحبًا جدًا، استمر ذلك الوضع للحظات ثم أغمضت عين الفتى وأغلقت شفتاه وتوقف عن التنفس!

*****

maktabbah.blogspot.com

(٢٣)

١٠ يوليو ٢٠١٧, مُستشفى الأمل، القاهرة

مع أول ضوء للشمس فتح أكرم عينه، هذه هي العادة، يقترب من الموت ولا يجعله يتمكن منه، لكن، هذه المرة حسبما يذكر كان شبه خالي من الدماء، وبالرغم من أنه قد رأى خلال الأيام الثلاث الأخيرة الكثير من المعجزات إلا أن معجزة كهذه سوف تأخذ وقتًا طويلًا حتى يعرف كيف جرت، وعلى ما يبدو فإن الممرضة التي تدخل الآن إلى غرفته تحمل تفسيرًا ملائمًا لمعجزة بقائه على قيد الحياة حتى هذه اللحظة.

قالت الممرضة تبتدر أكرم فور استيقاظه:

- أخيرًا انتظم قلبك، لقد نجوت بمعجزة!

مارس أكرم عادته المفضلة مع كل مرة يستيقظ فيها من النوم خلال الأيام الأخيرة، سأل سؤاله المُعتاد كذلك:

- ما الذي يحدث؟

- هذه أول مرة في حياتي أرى شخص شبه خاوي من الدماء، لقد جئت إلينا بلا نبض تقريبًا، لكن الطبيب أصر على أنك لا تزال على قيد الحياة وقام بضخ كميات كبيرة من الدماء في جسمك لم أرها من قبل تضخ بهذا القدر، ثم قال إن ثمة أربعٍ وعشرين ساعة كاملة، إن تمكن جسمك من التأقلم مع دمائك الجديدة فسوف تنجو، وإلا فإنك سوف...

توقفت الممرضة عن إكمال جملتها كنوعٍ من الذوق، قالت تُغير السياق:

- لكن الحمد لله أنك لا تزال بخير، حاول ألا تبذل أي جهد، وبعد قليل سوف أعود بالطبيب ليرى حالتك.

قالت الممرضة خطبتها هذه ثم همت بالانصراف في فرح، بعض البشر يسعدون جدًا بإنقاذ الحيوات، أما أكرم فكان لا يُعر كل ذلك أي اهتمام، لقد اعتاد عليه كثيرًا لدرجة أنه بات يشك في أنه سوف يموت في يوم من

maktabah.blogspot.com

الأيام، توقفت الممرضة فجأة على باب الغرفة ثم عادت إلى أكرم من جديد، أخرجت مظروف من جيبها ثم أعطتها له:

- نسيت أن أخبرك أمر هام، لقد ترك أحدهم لك ذلك المظروف وأمرني أن أعطيه لك عندما تستفيق، لقد كان تقريبًا الشخص الوحيد الذي بدا متيقنًا من أنك سوف تنجو من هذا، كان الأمل واضحًا عليه بالرغم من كونه ملثم.

أمسك أكرم بالمظروف وشرع في فتحه بينما انصرفت الممرضة، كان ثمة ورقتان، الأولى شيكًا من البنك باسمه بمبلغ مليون جنيه، والأخرى كانت رسالة مطوية، فتح الرسالة ثم بدأ يقرأ:

«لقد انتهى كل شيء بالنسبة لي، ويجب أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لك، لسنا أعداء، لقد أنقذت حياة طفلتي، وفي مقابل ذلك أنا أمنحك حياة جديدة بأكبر راتب قد تحصل عليه من وظيفة في يوم من الأيام، لديك الآن مليون جنيه، يُمكنك أن تُأسس مشروعك الخاص وتُحقق كل أحلامك، ولا تنسى أنني كنت أستطيع تركك للموت، لكنني جهزت لك الدماء اللازمة في أسرع وقت ونقلتك إلى المستشفى، لقد حفظت جميلك، فلا تخبر أحدًا بما حدث كيلا تُتهم بالجنون، وبالمناسبة، لقد تم إصدار قرار إزالة للفندق، لن يكون له وجود، ويجب أن يكون كذلك في مخيلتك، عش حياتك بالمبلغ الذي تركته لك وقم بحذف الأيام الأخيرة من شهر يوليو، صدقني نحن لسنا أعداء، فقط كنت أحاول إنقاذ الأمل الأخير لي في الحياة، وأنا أثق تمامًا أنك كنت لتفعل نفس الشيء إذا وضُعت مكاني»

منير الجنايني... صديقك المخلص

أغلق أكرم الرسالة ووضعها بجانبه ثم تحامل على نفسه ونهض من سريره ووقف على قدميه متحركًا بصعوبة تجاه النافذة المفتوحة، بالقرب منها نظر مرةً أخرى إلى الرسالة الموضوعة على السرير، ثم بدأ يضحك بطريقة هيستيرية!

maktabbah.blogspot.com

تمت بفضل الله